روايات مصرية للجيب

13

فانتازيا

رجل من كريبتون



مقــدمة

اسمها (عبير عبد الرحمن)

إنها لا تملك شيئًا من رقة اسمها ، ورشاقة اسمها ..

إن (عبير) ليست جميلة بأىّ مقياس ، ولا تجيد القتال أو قيادة السيارات ، وليست عالمة أو أديبة ممثلة ، ولا تملك مؤهلاً دراسيًّا محترمًا ..

إن (عبير) هى إنسانة عادية إلى درجة غير مسبوقة .. إلى درجة تجعلها فريدة مِن نوعها .. وتجعلها جديرة بأن تكون بطلة السلسلة ..

لقد قابلت (عبير) (شريف) .. خبير الكمبيوتر الثرى الوسيم ـ والأهم من هذا ـ العبقرى .. وكان (شريف) وقتها يبحث عن فتاة عادية جدًّا ولا تملك أىّ ذكاء .. هذه الفتاة ستخضع لاختبار جهاز (صانع الأحلام) الذى ابتكره ، وهو جهاز قادر على استرجاع ثقافة المرء ، وإعادة برمجتها فى صورة مغامرات متكاملة ..

ولأن (عبير) تقرأ كثيرًا جدًّا .. ولأن عقلها مزدحم

بأبطال القصص ومواقف القصص ؛ صار عقلها خامة صالحة لخلق مئات القصص المثيرة ..

(عبير) سترى القصص التى عشقتها .. ولكن مع تحوير بسيط : إنها ستكون جزءًا متفاعلاً فى كل قصة ! ستطير مع (سوبر مان) وتتسلق الأشجار مع (طرزان) .. وتغوص فى أعماق المحيط مع كابتن (نيمو) ..

وتزوج (شريف) (عبير) .. ربما لأنه أحبها حقًّا .. وربما لأنه كان بحاجة إلى إبقاء فأر تجاربه معه للأبد .. ونعرف أن (عبير) حامل ..

وتواصل (عبير) رحلاتها الشائقة إلى (فانتازيا) .. ترى الكثير وتعرف الكثير .. وفى كل مرة ينتظرها (المرشد) ليقودها إلى حكاية جديدة ..

إن (عبير) تنتمى إلى (فانتازيا) .. أرض الخيال التى صنعها الكمبيوتر لها من خبراتها ومعلوماتها الخاصة .. وأعاد تقديمها لها من جديد ..

(فانتازيا) هى المهرب من براثن الواقع .. وكل الوجوه التى لا تتغيّر ..

(فانتازيا) هى الحلم الذى صاغته عبقرية الأدباء

على مرّ السنين .. ولم يكن من حقنا أن نكون جزءًا منه .. لكن هذا فى مقدورنا الآن ..

لسوف نرحل جمعيًا مع (عبير) إلى (فانتازيا) .. نضع حاجياتنا وهمومنا فى القطار الذاهب إلى هناك ..

هو ذا جرس المحطة يدق .. وهدير المحركات يدوى .. إذن فلنسرع !

★ ★ ★

١- عودة إلى (فانتازيا) ..

تحرك يا قطار (فانتازيا) المضحك .. تحرك ..

(عبير) تجلس فى مقعدها الأثير ترمق الموجودات بالخارج وتبتسم .. إن (فانتازيا) اختراع مروّع لا يمكن الاستغناء عنه أبدًا ..

وهى .. هى المحظوظة الوحيدة التى كتب لها أن تستمتع بهذا العالم ، وهى - على قدر علمى - أول سائح فى التاريخ يُتاح له أن يرتحل وسط الأحلام .. ينتقى منها ما يشاء ..

كان (المرشد) - كالعادة - يجلس جوارها ..

صامتًا يداعب قلمه الزنبركى العتيد ، مصدرًا أصوات (التكتكة) الرتيبة المعتادة .. وينتظر قرارها ..

سألته وهى تريح رأسها للوراء :

- « قل لى يا (مرشد) .. ما سرّ هذا القلم الذى تتمسك به ؟ »

- « إنه يعطينى طابعًا خاصًا .. هذه التفاصيل تجعلنا

متميزين .. وعلى كل حال أعتقد أنك منحتنى إياه ، لأن مدرس اللغة العربية الذى كنتِ تحبينه فى طفولتك ، كان يداعب قلمه طيلة الوقت بذات الأسلوب المملّ .. »

ثم سألها :

- « كيف عدتِ ؟ ظننت الأمر مستحيلاً بالنسبة لك ؟ لعلك قد قمت بتشغيل الجهاز سرًا ؟ »

- « لا وحياتك .. »

ثم أردفت وهى تبتسم :

- « لا تنس أننى امرأة .. ربما قبيحة لكننى امرأة .. ولا توجد امرأة لا تستطيع إرغام الرجل على فعل ما تريد هى .. هذه هى قوة (حواء) الحقيقية .. بلا عضلات .. بلا صراخ .. لكنها تستطيع أن تجعل الرجل يفعل ما لا يريد فى حبّ وكأنه كان يريده منذ زمن .. »

ابتسم بدوره فى غباء وقال :

- « المرأة لا تملك سوى طريقتين للإقناع .. الدموع أو الدلال .. ثمة طريقة ثالثة هى (النكد الأزلى) لكنها غير فعالة دائمًا .. »

قالت ضاحكة :

- « إن دموعى لا تؤثر فى النفس .. ودلالى لا يقنع أحدًا .. لكنى استخدمت أسلوبًا عقلانيًا هادئًا جعل (شريف) يوافق بحرارة على إرسالى إلى (فانتازيا) من جديد .. »

- « قلت له إنك نسيت مفاتيحك فى (فانتازيا) مثلا ؟ »

- « لا .. قلت له إن عودتى لـ (فانتازيا) مهمة لتوازنى النفسى بعد كل ارتباك المرة السابقة .. ومن دون ذلك سأجنّ .. »

- « والحمل ؟ »

- « ما زلت فى الشهر السادس .. برغم أننى - فى المغامرة السابقة - رزقت بـ (شذى) .. ومن الغريب أن أعرف أنها كانت حلمًا .. »

وتنهدت فى أسى :

- « علىّ أن أعانى الولادة مرتين لطفل واحد .. »

- « إن الحياة قاسية أحيانًا .. »

★ ★ ★

كان قطار (فانتازيا) يمرّ الآن وسط مشاهد من حرب (ووترلو) حيث يقضى (ولنجتون) على

أسطورة (نـابليون بونـابرت) ، ويخـرج منهـا إلـى عوالم (تولستوى) حيث يقف الفلاحون الروس خلف محـاريثهم يلوحون للقطـار ، ويشـربون (الفودكـا) صاخبين ..

ثم رأت (عبير) مدينة حديثة تملؤهـا ناطحـات السحاب .. وفى السماء رأت خطًا أزرق وخطًا أحمر ـ كأنما يخرجان من عادم نفاثة ـ يدوران ويدوران بلا توقف ..

قال (المرشد) :

ـ « هذا هو عالم ..... »

ـ « لحظة .. دعنى أخمن .. إنه عالم (سوبرمان) .. أليس كذلك ؟ »

ـ « بلى .. هل تذكرينه ؟ »

داعبت شعرها مفكرة وقالت :

ـ « بالتأكيد .. كنت اشترى مجلات (سوبرمان) المترجمة فى لبنان ، من بائع فى (الأزبكية) .. كان يبيعها قديمة .. ربع جنيه للمجلة ..

وبرغم هذا كانت رهقًا على ميزانيتى .. »

ثم أضافت وقد تذكرت :

ـ « هنـاك فيلم باسم (سـوبرمان) رأيتـه على الشاشة الصغيرة .. لقد كان جيدًا .. لكنـه مُحبط إلى حدٍ ما كعادة الأفلام حين تقارنها بالأدب .. »

قال (المرشد) وهو يداعب قلمه :

ـ « لم يكن فيلمًا واحدًا .. بل ثلاثـة أفلام .. وقد صوروا ثالثها بطريقة (الأبعاد الثلاثيـة) .. وكـان البطل دائمًا هو الوسيم (كرستوفر ريف) ..

كـان هذا قبل أن يهوى من فوق جـواد فيتهشـم ظهره .. للأسف هو الآن مشلول تمامًـا فيما تحـت صدره .. »

سألته فى جزع محدقة فى وجهه :

ـ « أحقًا ؟ يا للمأساة ! لم أعرف هذا قط .. »

ـ « بل تعرفيـن حتمًـا لكنـك نسيت .. إن الممثل الذى أدى دور أقوى رجـل فـى العالم هو الآن عاجز معوق .. يا للمفارقة ! »

ـ « ما أغرب الزمن ! »

ابتسم كعالم ببواطن الأمور وقال :

ـ « الزمن ! ماذا تعرفين عن الزمن ؟ هـل تعلمين أن (ليوناردو دا فينشى) كان عاكفًا على رسم لوحته

الشهيرة (العشاء الأخير) ، وكان بحاجة إلى وجه صادق صريح وسيم ليكون هو المسيح فى لوحته .. وقد وجد شخصًا مناسبًا تمامًا فرسمه .. بعد أعوام جاء دور (يهوذا) فى اللوحة .. وراح (دافينشى) يبحث عن وجه آثم مُرهَق يعذبه ضميره .. ووجد ضالته فى الشارع فاصطحبه إلى المرسم ليرسم وجهه .. هنا اتضحت له حقيقة مروعة : إن من رسمه منذ أعوام ليكون المسيح ، هو ذاته من ينوى رسمه الآن ليكون (يهوذا) .. لقد تغيَّر الرجل إلى النقيض فى غضون أعوام معدودة(*) ! »

ثم تنهَّد كأنما يعتذر عن هذا الاستطراد وقال :

- « هل تزورين (سوبرمان) ؟ »
- « حتمًا .. إن مزاجى رائق اليوم .. »

وعلى الفور جذب (المرشد) حبل التوقف ..

★ ★ ★

(*) قصة حقيقية ..

٢ ـ (سوبرمان) ..

الآن هى ترتدى ثيابًا عصرية أنيقة ، تقف فى الطريق العام ، بينما السيارات تنطلق كالأسهم من حولها .. وكان الليل قد غمر الكون ..

سألت (المرشد) وهى تنسق ثيابها .. وتأخذ شهيقًا عميقًا :

- « من أنا ؟ »
- « أنت (لورا) .. حبيبة (سوبرمان) ومصدر إزعاجه الدائم .. »

ثم أشار إلى بناية عملاقة عبر الشارع ، يلتمع فوقها كوكب مضىء تحيط به حلقة .. كأنه كوكب (أورانوس) ..

- « هذا هو مقر عملك .. جريدة (ديلى بلانيت) أو (الكوكب اليومى) يمكنك تسلّم عملك ولسوف تدور عجلة الحوادث تلقائيًا .. »

سألته غير فاهمة :

ـ « أتسلم هكذا ؟ دون مسوغات تعيين ولا شيء مماثل ؟ »

ـ « بل أنت ـ كالعادة ـ تواصلين دورًا ، ولا تبدئين من جديد .. »

أضاءت إشارة المرور لتسمح بعبور المشاة ..

فما إن لمست قدمها اليمنى أرض الشارع لتعبر ؛ حتى أدركت أن (المرشد) قد اختفى ..

★ ★ ★

ما إن اجتازت باب الجريدة حتى أدركت أنها جميلة جدًا ـ فالكل يرمقها بإعجاب ، ـ نشيطة جدًا ـ فخطواتها رياضية سريعة ـ ، وحازمة لأنها نظرت نظرة حادة إلى شاب حاول أن يتظرّف ..

ودخلت إلى مكتبها ، حيث الآلة الكاتبة تنتظرها .. وعليها ثلث صفحة من مقال لم تفرغ منه بعد ..

نزعت سترتها فعلقتها على المشجب ، ثم جلست إلى الآلة الكاتبة .. كانت المقالة تتحدث عن تخفيض ضريبة الدخل ، ولم يكن لديها أى علم مسبق بكيفية إتمام هذا الكلام .. المفترض أنه فى ذهنها وأنه على وشك الانسكاب على الورق .. لكن كيف ؟

وجدت (بلوك نوت) مفتوحًا جوارها .. وبه بعض نقاط بالقلم الرصاص .. ربما يمكن الاستفادة منها بشكل ما ...

راحت تطبع .. وسرّها أنها صارت سريعة جدًا فى الطباعة كما لم تكن قط فى المدرسة .. بل إنها تطبع بالإنجليزية وتستعمل كل أصابعها ، هى التى كانت تطبع الإنجليزية بإصبعين ، وبسرعة خمسة حروف فى الدقيقة ...

هنا دخل الغرفة شاب يرتدى سترة أنيقة ، ويضع العوينات .. حيّاها فى رزانة ثم جلس إلى مكتب مقابل لها ..

تأملته فى فضول .. إنه وسيم إلى حدّ ما .. لكن عويناته لا تناسب وجهه .. ربما هى أكبر من اللازم .. ثم إنه خجول جدًا ـ واضح من أسلوبه فى الكلام والمشى ـ دعك من احمرار أذنيه كأنما الدم يوشك أن ينفجر منهما ...

سألها وهو يفتح درج مكتبه :

ـ « هل سأل المدير عنى فى غيابى ؟ »

كادت تقول له : كيف أعرف ؟ لقد جئت منذ خمس دقائق .. لكنها تمالكت نفسها وقالت :

- « لا .. لحسن حظك .. »

ابتلع ريقه .. وأخرج ملفًا سميكًا راح يفتش فيه .. ثم قال :

- « كان علىّ أن أجد مطعمًا .. لم أظفر بشىء من الطعام منذ السابعة صباحًا .. »

وهنا اقتحم الغرفة رجل ضخم الجثة ، يعتصر سيجارًا غليظًا بين ضروسه ، وقد ارتدى كُمَين أسودين على قميصه الأبيض كديدن رؤساء التحرير .. كان فيه كل اندفاع وعدوانية صحفى ناجح ..

تذكرته (عبير) على الفور من المجلات .. كانوا يترجمون اسمه بـ (وهيب ج ..) ولم تستطع على الإطلاق فهم سرّ هذه الـ (ج) .. إنه رئيس التحرير الطاغية لجريدة (ديلى بلانت) .. بُعبع المحررين الذى يصرّ على أن المستحيل ممكن ، والمستحيل فعلاً هو إقناعه بعكس ذلك ..

قال لهما بلهجة عدوانية :

- « أحقًا لم تذهبا لتغطية الخبر الجديد ؟ »

- « أى خبر يا سيّدى ؟ »

- « هذه - لعمرى - هى مشكلة المحررين محدودى الموهبة .. »

واعتصر سيجاره بعنف ... وقال :

- « لقد حدث شرخ فى سدّ المدينة .. والمذياع لا يكفّ عن إنذار الناس بالكارثة الجديدة .. وإن كان من الواضح أن أحدًا لن يجد الوقت الكافى للفرار .. »

سألته (عبير) دون أن تبدل من وضع جلستها :

- « وهل نجد نحن الوقت الكافى للكتابة عن الكارثة ، وطبعها فى ملحق ؟ »

- « هكذا الصحفى .. يعمل حتى لحظة احتضاره .. ومن أدرانا ؟ ربما كان حظنا سيئًا إلى درجة أن ننجو .. عندها يسبقنا المنافسون ويغدو موقفنا فريدًا فى سوئه .. »

نهض زميلها الخجول سريعًا ، وزرّر سترته .. ومن على المشجب تناول قبعة ألقاها على رأسه ، وهتف :

- « سنذهب حالاً يا سيّدى .. »

- « حسن .. خذا (الهليوكوبتر) فقد تتحول الشوارع إلى بحار بعد قليل .. »

نهضت (عبير) بدورها ، فوضعت السترة على كتفيها ، وهرعت تلحق بزميلها الذى غادر الغرفة جاريًا نحو المصعد .

(هليوكوبتر) ؟ نعم .. فجريدة (ديلى بلانت) تملك واحدة .. تنتظر دومًا على سطح البناية ..

كان محرك الطائرة قد بدأ يهدر .. ومروحتها العمودية تدور .. وحسن واقف فى الظلام ينتظر التحليق ..

كان الخجول يركض ركضًا نحو الطائرة .. ثم توقف بغتة ..

التفت إلى (عبير) وشفتاه ترتعشان .. ويداه ترتجفان .. وبصوت مهزوز مزعزع قال لها :

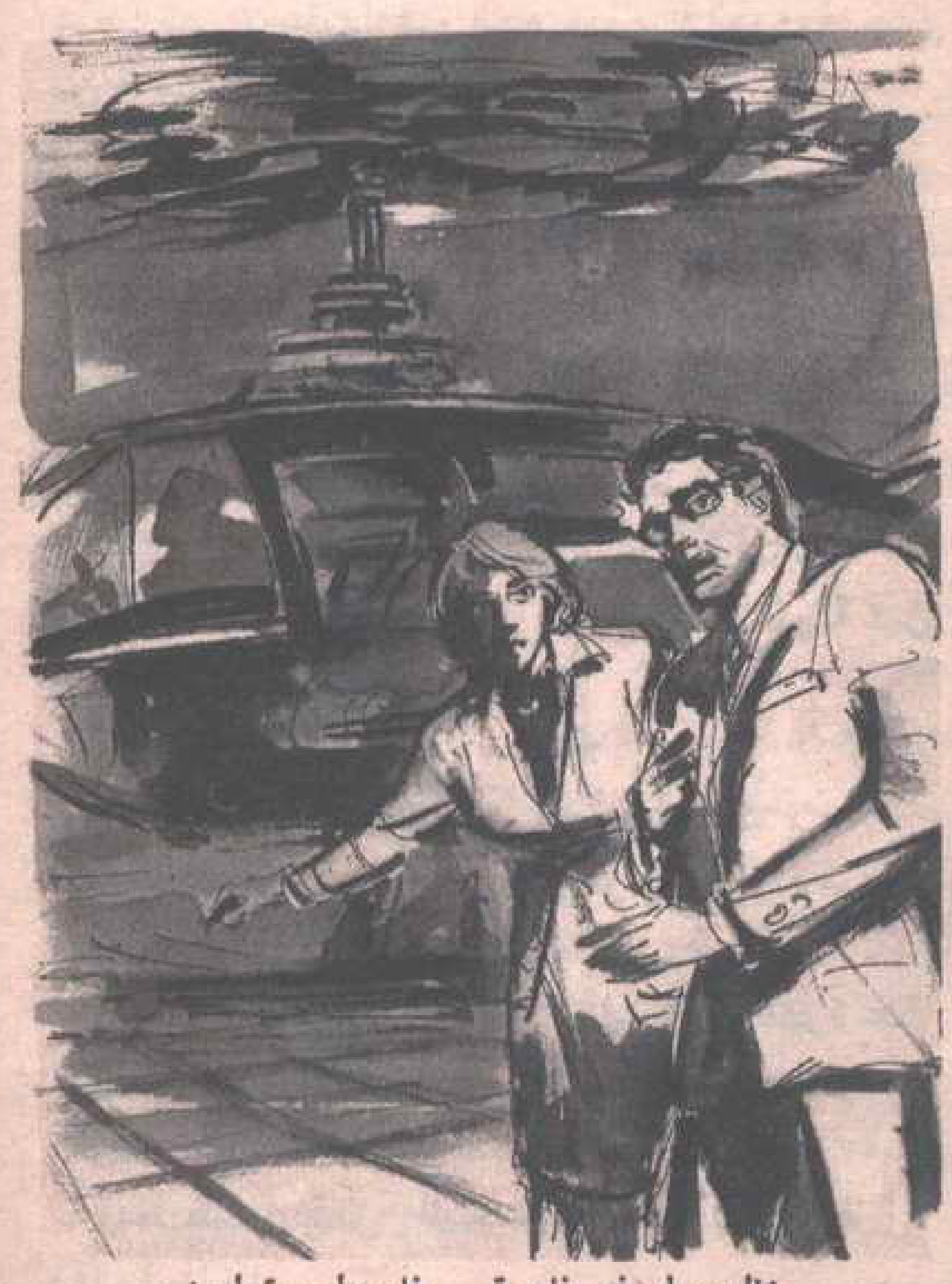
ـ « (لورا) .. أنت تعرفين كم .. كم أخاف ركوب الطائرات العمودية .. لكنى .. لكنى لم أجسر على الاعتذار للمدير .. »

نظرت له غير فاهمة .. فاستطرد يقول :

ـ « إن .. إننى سألحق بك بالسيارة .. »

ـ « لكن هذا غير آمن .. »

ـ « على الأقل هو أكثر أمنًا من ركوب قطعة الحديد



نظرت له غير فاهمة .. فاستطرد يقول :

ـ « إن .. إننى سألحق بك بالسيارة .. » ..

هذه ، التى لا يبقيها فى الجو سوى قانون واه جدًا من قوانين الطبيعة .. »

ـ « ولكن .... »

ـ « أرجوك يا (لورا) .. لا تطيلى الجدال .. »

وقبل أن تطيل الجدال حقًا كان قد مرَّ من أمامها ليختفى فى ظلام السطح .. وسمعت الطيار يصيح بها من باب الطائرة :

ـ « هيه يا آنسة ! هل ننتظر هنا طيلة الليل ؟ »

لم تجد ما تقول سوى أن تتجه للطائرة وتركبها ..

واندفعت قطعة الحديد فى الجو .. متحدية كل قوانين الجاذبية المعروفة ..

★ ★ ★

إنه ليس خجولاً فحسب .. إنه جبان كذلك !

فكرت ـ بحنق ـ فى هذا وهى ترمق أضواء المدينة المبعثرة تحتها ، كلآلئ فوق بساط أسود ..

لقد تخلى عنها .. وهى لا تملك أدنى فكرة عن كيفية البدء .. ومن شبه المستحيل أن تجده وسط الفوضى التى تعرف أنها ستجدها ..

وبعد خمس دقائق أشار لها الطيار إلى أسفل .. وقال شيئًا ما ..

كانت الكشافات تغمر المشهد .. ولم تحتج إلى ذكاء كثير كى تدرك أنها تطير الآن فوق سدّ المدينة ..

كانت سيارات البوليس والدفاع المدنى والإطفاء تملأ المكان .. وكان هناك أناس كثيرون يفعلون أشياء أكثر .. بعضهم يصرخ وبعضهم يتزاحم فى فضول محاولاً اختراق (الكوردون) الأمنى ، وبعضهم يفرّ ..

قال الطيار بصوت عال كى يقهر صخب المحرك :

ـ « كما ترين .. لم ينتشر الخبر بعد إلا فى رقعة محدودة .. لكن بعد عشر دقائق سترين طابورًا طويلاً من السيارات يحاول الفرار من المدينة .. ولسوف تمتلئ الشوارع بالقتلى الذين داستهم الأقدام المذعورة .. وبعد ساعة ستزيل المياه الثائرة كل هذا لتتحول المدينة إلى مستعمرة أسماك .. »

قالت وقد تذكرت حكاية مماثلة :

ـ « إنه شبيه بالذعر الذى أحدثته تمثيلية (أورسون ويلز) الإذاعية الشهيرة (حرب العوالم) .. »

ـ « تمامًا .. لكن الأمر ها هنا لا يتعلق بتمثيلية .. إنها الحقيقة القاسية » ..

ثم راح يهبط بطائرته تدريجيًا وسط مساحة خالية من الناس وقد أحدثت مروحته فوضى بالغة .. تطاير التراب فى العيون ، وطارت قبعات الرجال وشعور النساء المستعارة ..

قالت (عبير) وهى تشعر بصدمة الأرض الرفيقة لجسم الطائرة :

ـ « كيف ابدأ ؟ »

ـ نظر لها فى حدَة باحثًا عن ردَ مفحم .. ولما لم يجد قال :

ـ « إبدئى كما يبدأ أى صحفى يحترم نفسه .. ولا تنسى الكاميرا .. إنها على المقعد المجاور لك .. »

امتدت يدها تتحسس الكاميرا .. إنها لا تعرف حتى كيفية الإمساك بها فى وضع صحيح .. لذا سألته من جديد :

ـ « لِمَ لم نحضر معنا مصورًا محترفًا ؟ »

ـ « تسألين أسئلة غريبة .. أنت تعرفين أن المدير يحاول ضغط النفقات .. والآن أسرعى قبل أن يسبقك الفيضان .. »

وترجلت (عبير) على قدمين رخوتين أشعرتاها

بأنها تنتمى إلى رتبة (الرأسقدميات) الشهيرة فى علم الحيوان .. وراحت تشق طريقها وسط الزحام يدفعها هذا ويضربها ذاك ..

دنت من (كوردون) الشرطة ، فرفع شرطى ضخم الجثة ذراعه يمنعها .. ثم نظر إلى سترتها وغمغم :

ـ « آه ! يمكنك المرور .. »

اختلست بدورها نظرة إلى سترتها ، فوجدت شارة الصحافة (Press) مثبتة على العروة .. لا بأس ..

ومشت فى تؤدة فوق جسم السدَ الخرسانى ، ترمق الأضواء المبهرة ، ومذيعة (الراديو) التى تمسك بالميكرفون وتصرخ فى هستيريا :

ـ « إن المهندسين لعاجزون عن عمل شىء .. هل هو تخريب ؟ لم يقل أحد ذلك .. هل هو عيب فى التصميم ؟ لن نعرف هذا إلا بعد تحقيق طويل .. »

ثم قربت (الميكرفون) من رجل أصلع ملتح ، أقرب إلى عالم فى قصة مصوَرة للأطفال .. وسألته :

ـ « بروفسور (آرثر جيلبرت) أستاذ الخرسانة .. ما هو فى رأيك سبب هذا الشرخ ؟ »

قال الرجل كلامًا فارغًا كثيرًا يحوى (ربما) و(من الممكن) و(توجد نظريات تقول) .. إلخ .. إجابة علمية محترمة جدًا ..

سألته المذيعة وقد بدا أنها لم تفهم حرفًا :

ـ « وماذا ينجم عن هذا الشرخ ؟ »

ـ « ينجم عنه أن السدَ سينهار فى أية لحظة الآن .. ولسوف تغرق ملايين الأطنان من الماء حضارتنا .. »

ـ « أماه ! وهل يوجد ما يمكن عمله ؟ »

ـ « يمكننا الدعاء طبعًا .. »

وفى اللحظة التالية صرخت المذيعة وهى تنظر للسماء :

ـ « أماه ! ماذا أرى ؟! »

★ ★ ★

٢ ـ (سوبر مان) و(كنت) ..

نظر الجميع إلى السماء ..

وارتفعت الكشافات إلى أعلى لتجعل الرؤية أوضح ..

ووسط الضوء الساطع ، رأى القوم طائرًا أزرق يحمل علمًا أحمر هائل الحجم ..

فما إن اتضحت الرؤية أكثر حتى أدركوا أنهم يرون (سوبرمان) .. الرجل الخارق يحلق فى السماء حاملاً قطعة قماش عملاقة ..

ـ « هذا (سوبرمان) ! »

ـ « لقد نجونا ! »

فى اللحظة التالية رأت (عبير) الرجل يندفع كالنفاثة إلى جسم السدَ .. ورأته يثبت قطعة القماش العملاقة ـ التى يبلغ طولها عشرة كيلومترات على الأقل ـ إلى جانبى السدَ .. ويحكم بها إغلاق الشرخ ..

ورأته يحلق فى الهواء كأنما يتفقد عمله .. ثم يهبط .. يهبط إلى وسط الجماهير التى أصابها جنون الحماس ..

هرعت (عبير) والمذيعة نحو البطل الذى وقف يبتسم مطمئنًا ..

صاحت المذيعة محاولة جعل صوتها مسموعًا وسط الصخب :

- « (سوبرمان) ! هل لك أن تفسر لنا ما قمت به ؟ »

بصوت هادئ قوى النبرات ، مسموع دون حاجة للصياح ، قال :

- « إنه حلّ وقتى إلى أن يجد المهندسون الوقت الكافى لعمل إصلاحهم وترميماتهم .. لقد غلفت السدّ بفضلة قماش كانت عندى من (كريبتون) .. وهو قماش لا ينفذ الماء ولا يتمزق .. ويتمدد بصورة لا تصدق .. »

ثم نظر إلى (عبير) .. وقال باسمًا :

- « (لورا) ! إن (ديلى بلانت) لا يفوتها شىء حقًا .. هل التقطت صورة ما قمت به ؟ »

ارتجفت حين وجدته يخاطبها .. إذن هو يعرفها جيدًا ..

كان فارع الطول وسيمًا إلى حدّ لا يُصدق .. له تلك

الملامح التى اصطلح الرسامون على اختيارها كلما رسموا رجلاً وسيمًا .. ذقنه مربعة مشقوقة .. وخصلة شعر مجعّدة تنحدر على جبينه الوضاء ..

كان يرتدى زيّه الشهير بحرملته الحمراء ، وحرف (S) اللاتينى على صدره .. باختصار كان نسخة من (سوبرمان) الذى كانت ترى صورته فى المجلات ، لكن ـ كالعادة ـ كان قد اكتسب شيئًا ما من (شريف) زوجها ..

قالت مدارية شعورها بالارتباك و(الخيبة) :

- « لـ .. لم ألتقط أية صورة .. لقد تمّ كل هذا بسرعة .. »

قال فى مرح وهو يرتفع عن الأرض (وهو مشهد لا يمكن أن تصدقه حتى تراه) :

- « إذن أعدى الكاميرا .. سأقدم هذه اللقطة لك ولك وحدك ! »

ومن جديد رفرفت حرملته فى الهواء ... وانطلق نحو السدّ .. ورأته (عبير) يمسك بقطعة القماش العملاقة إياها فى وضع تمثيلى ثابت ، كأنه منهمك فى العمل ..

وأدركت أنه ينتظرها حتى تلتقط الصورة ..

رفعت الكاميرا إلى عينها .. وهى مرتبكة لا تدرى ما يجب عمله حقًا .. وسمعت صوت المذيعة الجاف يقول لها :

ـ « استعملى (الفلاش) يا حبيبتى .. يبدو أن تفكيرك بطىء نوعًا .. »

وفى نفاد صبر مدت يدها لتثبت لها (الفلاش) ..

وضغطت (عبير) على الزرّ الوحيد الذى وجدته ، فالتمع الضوء الساطع لعُشر ثانية .. ثم ساد الظلام ..

رفعت عينها عن (الكاميرا) فوجدت (سوبرمان) يلوح لها بذراعه . وهو يحلق إلى أجواز الفضاء مبتعدًا ..

نظرت إلى المذيعة فأدركت ـ لشدة دهشتها ـ أنها تكرهها حقًا .. وهى كراهية أنجبها الحسد .. الغيرة ..

إنه شعور طبيعى لا تلومها عليه .. فكم فتاة يمكن أن تتفاخر بأن (سوبرمان) ناداها باسمها .. وطار ليتخذ وضعًا تمثيليًا فقط ليسمح لها بالتقاط صورة فاتنتها ؟

لم تتصور (عبير) قط مدى أهميتها إلا فى لحظة كهذه .. رأت العيون من حولها تظهر الحسد أو الفضول ..

لم تجد لنفسها مكانًا وسط بحيرة العيون هذه .. (فرويد) كان عبقريًا حين وضع العيون والأسماك فى سلة واحدة .. لذا آثرت الفرار بحملها الثمين كى تلحق بالطائرة ..

يجب أن يصدر ملحق خلال ساعتين من الآن ..

★ ★ ★

وحين لمست قدماها سطح البناية ، كانت قد فرغت من كتابة وصفها لما حدث .. صحيح أنه بخط ردىء ملىء باهتزازات الطائرة ، لكن عمال المطبعة سيعرفون كيف يقرءونه ..

وسرعان ما كانت تستقل المصعد إلى مكتب المدير لتناوله المقال والفيلم .. لاهثة الأنفاس من فرط انفعال ومجهود ..

فما إن غادرت مكتبه حتى وجدت زميلها الخجول على الباب ..

قال لها وهو يبتلع ريقه مداريًا ارتباكه :

ـ « ماذا فعلت ؟ »

ـ « قمت بكل شىء .. وأنت ماذا فعلت ؟ »

ـ « لا شىء .. كان الزحام مرعبًا فلم أستطع

الوصول إلى مكان الحادث .. فما إن تحررت سيارتى حتى عدت إلى هنا .. »

مطت شفتيها فى ازدراء .. وقالت :

ـ « كان (سوبرمان) هناك .. لقد أنقذنا .. »

ـ « إنه دائمًا موجود لينقذنا .. »

وهنا دخل محرر شاب الغرفة ، ليقول فى كثير من الاندفاع وهو يلوح بجهاز مذياع صغير فى يده :

ـ « هل سمعتما الأخبار ؟ لقد أنقذنا (سوبرمان) ! »

قالت وهى تعود لمقعدها :

ـ « بل كنا هناك .. »

تذكرته من النمش على وجهه .. إنه ذلك الصحفى الشاب الطائش لكنها نسيت اسمه للأسف ..

سمعته يسأل زميلها الخجول :

ـ هل كان المشهد باهرًا يا (كلارك) ؟ »

قال (كلارك) وهو يصلح من وضع عويناته :

ـ « لم أره للأسف .. »

★ ★ ★

لقد فات (عبير) أن تدرك معنى الاسم ..

لما كانت قواعد اللعبة تحتم أن تكون هى (لورا)

فى كل شىء ، فقد غدا محتومًا عليها أن تنسى حقيقة (كلارك كنت) التى يعرفها كل قراء (سوبرمان) ..

الحقيقة هى أن (سوبرمان) البطل الجبار له ـ ككل الأبطال الجبابرة ـ شخصية سرية يتوارى خلفها ، وتتيح له حياة إنسانية شبه طبيعية ..

هذه الشخصية بالنسبة لـ (سوبرمان) هى شخصية الصحفى الخجول مزعزع الشخصية (كلارك كنت) .. إن (كنت) هو آخر من يمكنك الاشتباه فى كونه (سوبرمان) .. فهو خجول جدًا .. أقرب إلى الجبن .. وعامة هو نموذج جيد للـ (دهولة) كما نعرفها تمامًا ..

لكن (كلارك كنت) ـ حين تضطره الظروف ـ يتوارى عن الأعين ، وينزع ثيابه كاشفًا عن ثياب (سوبرمان) وعضلاته وقواه الهائلة .. إنه هى إلا لحظات ينقذ فيها العالم من خطر جديد ، ثم يرتدى ثياب (كلارك كنت) مرة أخرى ، ويبرز للناس متسائلاً فى غباء عما حدث ..

الحقيقة أن هذه الازدواجية تسبب حيرة ومعاناة هائلة لـ (سوبرمان) .. فهو أسد مرغم على الحياة

فى ثياب حمل .. هو إعصار مرغم على التنكر فى زىّ الأنسام الوديعة .

وفى كل دقيقة كان يبتلع السخرية والإهانات الموجهة لـ (كلارك كنت) .. عالمًا أن هؤلاء الساخرين سيموتون هلعًا لو عرفوا أنهم يسخرون من (سوبرمان) ..

بل إنه ـ وهذا متوقع ـ يبدأ فى تكوين مركب نقص من نوع خاص .. (كنت) يغار كثيرًا من (سوبرمان) القوى الشجاع .. و(سوبرمان) يضيق بهذه الشخصية الخانعة التى يحيا فى أسرها ، لكن الوقت غدا متأخرًا جدًّا على اختيار شخصية أخرى ..

لا أحد يمكن أن يشك فى (كنت) .. لا أحد .. ربّما لو استثنينا واحدة فقط ..

واحدة تملك الذكاء الكافى كى ترتاب .. وتتساءل : لماذا لم تر (سوبرمان) و(كنت) معًا قط ؟ لماذا ـ كلما ظهر (سوبرمان) ـ توارى (كنت) بعذر غير مقنع ؟

ثم إن ملامحهما متقاربة جدًّا .. ونبرات الصوت توشك أن تكون واحدة ..



ثم إن ملامحهما متقاربة جداً .. ونبرات الصوت توشك أن تكون واحدة ..

وكانت هذه الواحدة المرتابة هى (لورا) ...

★ ★ ★

والحقيقة إن شخصية (سوبرمان) هى نفسها وليدة عقدة قديمة لدى مؤلف القصة ورسامها .. وهما (جيروم سيجل) و (جوشستر) ..

لقد كانا غلامين خجولين ضعيفين فى المدرسة .. والمدرسة هى مكان جيد لممارسة شريعة الغاب ، حيث البقاء للأقوى والأجمل ..

عاش الصديقان مغمورين مقهورين ، يكتمان حبهما لفاتنة الصف ، التى تفضل - حتمًا - أولادًا أقوى وأكثر وسامة ..

وبعد تخرجهما فكر الصديقان فى ابتكار شخصية (سوبرمان) ، الذى يتوارى وراء شخصية باهتة يقتحمها البصر هى (كنت) ..

كان هذا هو انتقامهما .. فلم لا يكون وراء مظهر (سيجل) و (شستر) الخامل (سوبرمان) آخر تتقاتل النساء من أجل نظرة منه ؟

نوع من أحلام اليقظة .. لكنه لاقى نجاحًا ساحقًا ..

والأطرف من هذا أنهما جعلا (لورا) - صديقة (سوبرمان) - نسخة أخرى من فاتنة الصف التى أدمتهما فى صباهما !

هكذا العباقرة .. يحولون عقدهم الذاتية إلى فنَ .. فنَ قادر على أن يسحر الملايين ..

★ ★ ★

ولم تكن (عبير) / (لورا) تدرك شيئًا من هذا الآن ..

لم تكن كذلك قادرة على رؤية ما يحدث فى هذه اللحظة فى أجواز الفضاء النائية ..

كان الظلام يسود كل شىء على بعد آلاف الأميال الضوئية ، ما عدا وهجًا من شهاب محترق يعبر السماء لثانية ..

كان هناك ثقب أسود هائل الحجم ..

فى اللحظة التالية بدأ الثقب يتوهج ويتوهج .. يحمرَ ..

وتبدَى ظلَ .. لا .. بلا ثلاثة ظلال لثلاثة أشخاص .. فلو أننا أمعنا النظر لأدركنا أنهم يخرجون من الثقب الأحمر ..

لا شىء يمكن أن يخرج من ثقب أسود ، لأن جاذبية هذه الثقوب هائلة تصل إلى درجة امتصاص كل ما يمرّ بقربها ... وتتحول الكتلة إلى صفر ..

معنى ما نراه - إذن - أن الأمر يفوق قوانين الفيزياء ..

معناه أن ثقبًا قد حدث فى (منطقة الأشباح) ..

★ ★ ★

٤- منطقة الأشباح ..

كوكب (سيركيوس) فى كوكبة (القنطورس) ..

علماء الفلك يعرفون كوكبة (القنطورس) .. لكنهم - طبعًا - لم يعرفوا أن حول إحدى شموسها يدور كوكب (سيركيوس) ، والذى يسميه سكان الكوكبة باسم (كوكب الأشباح) ..

لماذا ؟ لأن كل الكتل تتحول إلى صفر على هذا الكوكب .. لا توجد مادة .. فقط توجد حزم من طاقة ..

وبعد ما نزلت الحزم الثلاث القادمة من الثقب الأسود ؛ لحقت بها حزمة جديدة تتوهج باستمرار فوق أرض الكوكب التى لم تعد أرضًا ..

دوّى صوت الحزمة الرابعة يتساءل :

- « ماذا تريدون ؟ »

بصوت واحد رددت الحزم الثلاث الأولى :

- الانتقام طبعًا ! »

- مِمَنْ ؟ »

- « من ابن (جور - آل) .. »
- « هل تعرفون مكانه ؟ »
- « إنه على كوكب يُدعى (الأرض) .. ويسمونه (سوبرمان) .. »
- « وماذا جلبتم لى ؟ »
- « شهاب من (كريبتون) ! »
- « (كريبتونايت) !! »
قالها فى جشع .. قالها فى شهوانية .. ثم عاد يسأل :
- « ومن أنتم ؟ »
قالت الحزمة الأولى :
- أنا جنرال (ثورن) الخائن .. »
- وقالت الحزمة الثانية :
- وأنا (بادر) السفاح .. »
- وقالت الثالثة :
- «وأنا (بيجال) الذى أحرق برلمان (كريبتون) .. »
قالت الحزمة الرابعة :
- « رائع ! أنتم مبدعون يا رفاق ويؤسفنى أن لقاءنا مستحيل على الأرض .. لا توجد طريقة أخرى سوى

أن نلتقى كحزم من طاقة على ظهر (سيركيوس) .. لكن هذا - على الأقل - يتيح لنا التفاهم .. »
قالت حزمة طاقة :
- « أنت عبقرى كعادتك يا (لوثر) .. فمنذ أربعين عامًا لم نستطع الاتصال بكائن خارج (منطقة الأشباح) .. إلى أن وجدت أنت فكرة (معجّل الذرات) هذه .. »
وسألته حزمة أخرى :
- « هل نلتقى ثانية ؟ »
قالت الحزمة الرابعة وهى تتوهج تصميمًا :
- « ليس قبل أشهر .. فأمامى عمل كثير بشهابكم هذا .. والآن وداعًا يا (بادر) ويا (بيجال) ويا جنرال .. »
- « وداعًا يا (لوثر) ! »
وعلى الفور ارتفعت حزم الطاقة لتتلاشى فى أجواز الفضاء .. عادت ليمتصها الثقب الأسود ..

★ ★ ★

وفى معمله المبطن بالرصاص ؛ فرغ (لكس لوثر) من تجربته الرهيبة فغادر الغرفة الزجاجية التى كان بها .. والتى يتدلى من سقفها كشاف (ليزر) هائل الحجم ، تفوح منه رائحة (الأوزون) ..

لقد فعلها ! تخلص لعشر دقائق من كيانه المادى ، وتحوّل إلى طاقة تجتاز الفضاء بأضعاف أضعاف سرعة الضوء ، واستطاع أن يلتقى بمجرمى (منطقة الأشباح) فى مجرة أخرى ..

وتحسس رأسه الأصلع فى رضا ..

إن ثقته بعبقريته لا حدّ لها .. منذ أعوام طويلة كان (لوثر) هو المخترع الشاب الوسيم الواعد صديق (سوبرمان) الشاب .. ثم نشب حريق مروّع فى معمله كاد يودى بحياته .. تدخل (سوبرمان) وأطفأ اللهب بنفخة جبارة من صدره .. لكن النتيجة كانت مروعة حقًا ..

لقد احترق شعر (لوثر) تمامًا وسط ألسنة اللهب التى سببتها نفخة (سوبرمان) ، والأدهى أن أبحاثه حول مادة نيزكية جديدة احترقت بدورها ..

ولم يغفر (لوثر) لـ (سوبرمان) ما تسبب فيه .. بل إنه لم يقبل اعتذاره ، ولم تشفع له محاولة إنقاذه ..

ومن يومها صار (لوثر) هو العالم المجرم المخبول نوعًا ، عدو (سوبرمان) رقم واحد .. الذى لا يخرج من السجن ـ هاربًا غالبًا ـ إلا ليعود إليه بتهمة أشنع ..

وبرغم هذا كان يعتبر (سوبرمان) هو المسئول عما صار إليه ..

اليوم أعدّ (لوثر) انتقامًا محكمًا من (سوبرمان) .. ولكن لننتظر قليلاً كى نفهم أكثر ..

★ ★ ★

يدخل (سوبرمان) قلعته التى شيدها وسط ثلوج القطب الشمالى ، حيث لا يجرؤ ـ ولا يستطيع ـ مخلوق على التواجد ..

يقوم بنشاطه اليومى المعهود ؛ فيجرى عملية تزييت (الروبوتات) التى تشبهه ، ويتفقد مدينة (كوندور) المحبوسة فى زجاجة يتدفق إليها (الأوكسجين) ، وهى المدينة الوحيدة الباقية من وطنه (كريبتون) ..

ثم يجلس أمام أجهزة الحاسب الآلى يستعرض مصائب اليوم التى دونها الجهاز على شاشته :

• فيضان فى (بنجلاديش) : هذا ليس جديدًا .. يوشك أن يكون خبرًا يوميًا .

• مذابح فى (كوستاريكا) : يا له من شىء ممل !

• سرقة مصرف فى (أوهايو) .

• سفاح نساء فى (نوتنجهام) .

وهكذا ـ من دون استعمال قلم ولا مفكرة ـ راح يدّون فى ذاكرته الفوتوغرافية قائمة أشغال الغد ..

ثم ضغط على زرّ معين كى يرى أحداث الفضاء الخارجى :

• شهاب يسقط فوق (عطارد) .

• النجم رقم (أ ـ ٣٤٠٠٧) يهوى بعد ما تحوّل إلى عملاق أحمر .

• غزو من كوكب (بلغور) لكوكب (سيلفانيا) ..

• شرخ مؤقت فى جدار منطقة الأشباح .

تصلبت أنامله .. واتسعت عيناه قلقًا ..

هذا الخبر الأخير بالذات يستحق التأكد منه ..

طلب مزيدًا من المعلومات ، فظهرت شاشة جديدة تقول :

« فى الساعة ٨:١٥ م . حدث شرخ فى جدار منطقة الأشباح ، تسرب إشعاعى محدود تلا ذلك ، استمرت الظاهرة نصف ساعة بتوقيت الأرض ثم انغلقت الفتحة ، المرجح أن أحدًا لم يستطع الفرار من المنطقة لأن التعداد صحيح .. »

لكن هذا الخبر يستحق كثيرًا من التمحيص ..

وبإصبع قلقة ضغط على الزرّ الذى كتب عليه (تعداد) ..

★ ★ ★

ويعود (سوبرمان) بذاكرته إلى الماضى ..

إلى أيام لم يعشها لكنه عرف كل شىء عنها من الأسطوانة المرئية التى كانت معه فى الصاروخ إياه ..

كوكب (كريبتون) الذى يبعد آلاف الأعوام الضوئية هو وطنه ..

هناك ولد لـ (جور ـ آل) .. أبيه .. أعظم علماء (كريبتون) .. قلمّا سطعت شمس هذا الكوكب الحمراء على رأس أكثر ذكاء من رأس (جور ـ آل) ..

ولأن (جور ـ آل) عبقرى ، كان هو صاحب فكرة منطقة الأشباح ..

كان يرى دومًا أن عقوبة الإعدام بالتجميد قاسية .. قاسية ، حتى بالنسبة للسفاحين الذين تنفذ فيهم ..

ابتكر (جور ـ آل) جهازًا خاصًا يقذف المحكوم عليهم بالإعدام إلى منطقة من الطاقة .. منطقة يختفى فيها الشخص .. لكنه لا يموت بل يظل سجينًا للأبد غير قادر على مضايقة الماديين مثلنا ..

ووافق برلمان (كربتون) - قبل أن يحرقه (بيجال) - على تطبيق أسلوب (منطقة الأشباح) على كل المحكوم عليهم بالإعدام ..

والحق أن هذا الأسلوب لم يكن رحيمًا كما يبدو .. إن السجن المؤبد عقاب أقسى من الإعدام بكثير إذا ما تمعنا فى الأمر .. فما بالك بسجن مؤبد تتحول فيه إلى طاقة بلا كيان ؟ والأدهى أنك قادر على رؤية كل شىء .. كل تفاصيل عالم الأحياء ... بل ورؤية جلاديك وهم ينعمون بحياتهم غافلين !

ثم انفجر كوكب (كريبتون) ..

وفى اللحظة الأخيرة للكوكب استطاع (جور - آل) أن يقذف رضيعه فى صاروخ إلى الأرض ..

وهكذا لم يعد حيًا من الكوكب كله سوى الرضيع - الذى سيغدو (سوبرمان) - ومجرمى (منطقة الأشباح) الذين يهيمون كالأرواح فى عالمهم الأثيرى .

وسرعان ما كبر (سوبرمان) .. وعرف سرّ هؤلاء المساجين الذين لو استطاعوا الفرار من محبسهم ، لاهتزّ الكون لهول انتقامهم ..

★ ★ ★

راحت وجوه المساجين تظهر على شاشة الحاسب الآلى .. ها هو ذا جنرال (ثورن) الذى أسلم أسرار (كربتون) العسكرية للـ (جالاكتورين) .. وهو ذا (مورد) الذى نشر وباء (X) الرهيب فى (كريبتون) .. ثم (بادر) السفاح الذى قطع رقاب ستين رجلا .. و (بيجال) الذى أحرق البرلمان .. و (بيكسو) الذى لوث نهر (كريبتون) البللورى .. إلخ .. كلهم هنا .. الخمسون سجينًا موجودون جميعًا لم ينقص أحد ...

إذن ما هو سبب ذلك الشرخ فى جدار المنطقة ؟!

لقد حاول أحدهم الدخول أو الخروج .. فمن هو ؟

★ ★ ★

الإجابة كانت فى ذهن (لوثر) ...

هو وحده يعرف الهدية التى أرسلها له مجرمو (منطقة الأشباح) - وهم أصدقاء أفاضل - كى يدمّر بها (سوبرمان) ...

كل ما عليه الآن هو أن يسافر إلى تلك النقطة فى صحراء (كاليفورنيا) ليجد تلك الهدية ، وينتفع بها ..

وهكذا - فى الصباح - كان يستقل طائرة إلى (كاليفورنيا) ، وقد تنكر بشكل متقن جدًا ...

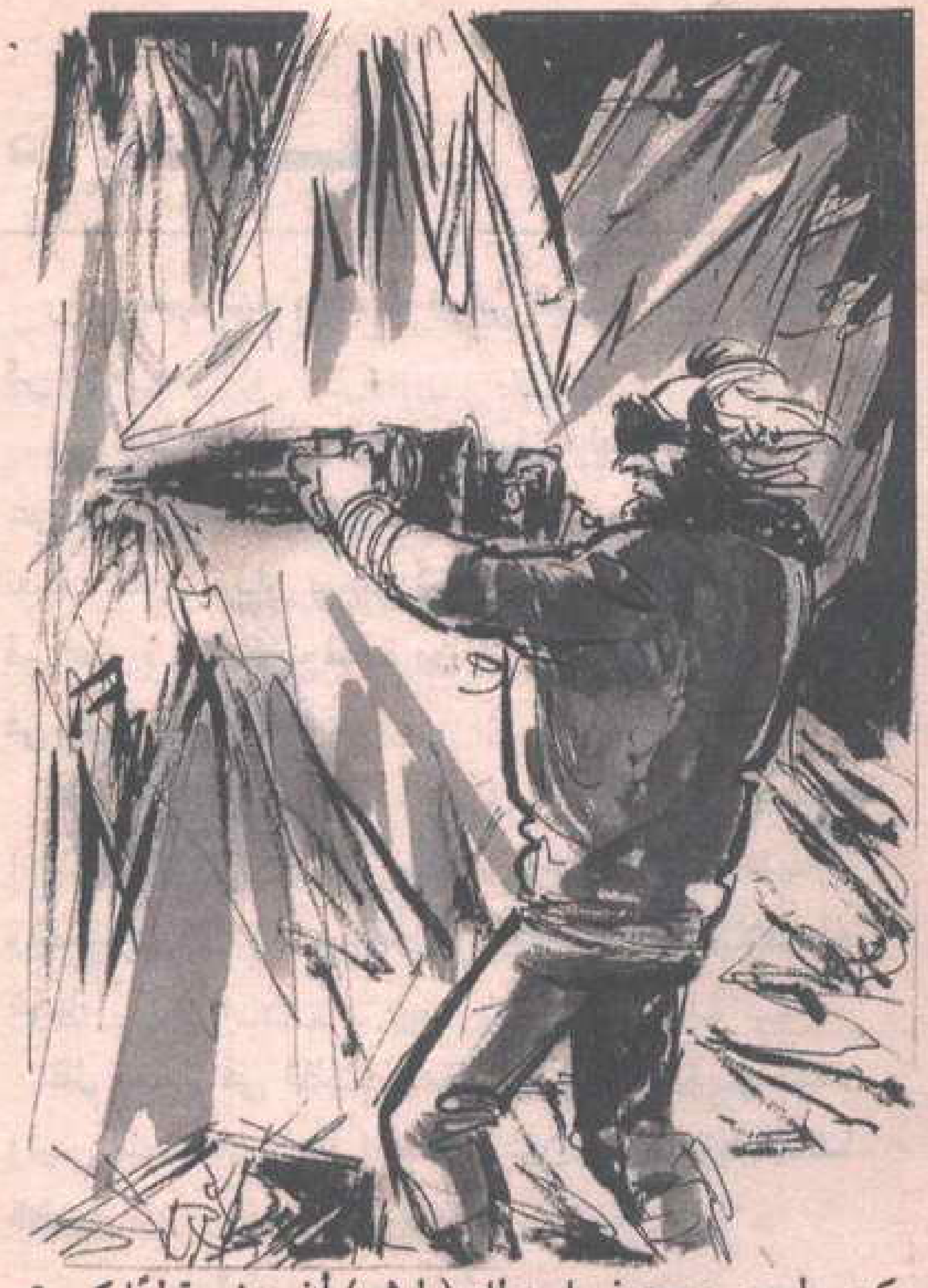
ولم يكن عسيرًا العثور على الشهاب الذى لم يحترق إذ اجتاز غلاف الأرض الجوى ، وانغرس فى الرمال حتى أوشك أن يتلاشى فيها ..

وكجيولوجى محترف استطاع (لوثر) أن يهشم قطعًا كبيرة لا بأس بها من الجسم الصخرى .. قطعًا مضيئة بعضها أحمر كجمرة متقدة ، وبعضها أخضر كالزمرد ..

وحين فرغ من مهمته كان قد ملأ ثلاث حقائب كبيرة ..

إن ما بقى لن يكون عسيرًا كذلك ...
شكرًا لمجرمى منطقة الأشباح !

★ ★ ★



وكجيولوجى محترف استطاع (لوثر) أن يهشم قطعًا كبيرة لا بأس بها من الجسم الصخرى ..

٥ - الحفـــــل ..

ركبت سيارتها وفتحت الباب الجانبى لـ (كنت) كى يجلس ..

فـ (كنت) لم يكن يملك سيارة .. ليس هذا بسبب عوز مادى ، فكل فقراء أمريكا يمكنهم شراء سيارة نصف عمر .. لكن بسبب أنه يخشى القيادة ، وقد فشل فى عشرة امتحانات قيادة من قبل ، فهو يرتبك دومًا فى الوقت غير المناسب ..

كانا ذاهبين إلى الحفل الخيرى الذى تنظمه جريدة (ديلى بلانت) ، والذى يخصص ريعه لأيتام المدينة ، والمفترض أن (سوبرمان) سيكون هناك لإحياء الحفل ..

ظل صامتًا فى الظلام يرمق أضواء الطريق (كنت وليس سوبرمان طبعًا) فسألته دون أن تفارق عيناها الطريق :

- « ما بك؟ تبدو مهمومًا ! »

- « هم م م م ! »

- « والسبب ؟ »

- « لا سبب .. مجرد انحراف مزاجى .. »

لكنها كانت تعرف جيدًا ..

تعرف أن ما يعانيه هو داء قديم لا علاج له ، وصفه (ابن سينا) ببراعة ، وكتب عنه شعراء كثيرون .. الداء الذى لا دواء له إلا أصل الداء .. وهذه العلة لها اسم قصير جميل من حرفين ..

كان (كنت) يحبها بجنون .. وبلا أمل ..

إن أجهزة استشعار المرأة لا تخطئ فى هذه الأمور .. لكنها تدعى الغباء إذا كانت غير راغبة فى الخطوة التالية ..

بالطبع لم تكن ترغب فى خطوة تالية معه أو سواه .. ولم تكن تريد أن تصارحه بعيوبه فهو لن يتغير أبدًا .. كما أنها - حتى لو تغير - لم تكن لتحب سوى (سوبرمان) ..

سألها فى ذلة :

- « أنت مسرورة لأن (سوبرمان) فى الحفل .. أليس كذلك ؟ »

عادت إلى سياسة (الاستهبال) إياها وقالت :

- « بلى .. إنه صديق عزيز .. ألست مسرورًا بدورك ؟ »

- « بـ .. بلى .. »

وابتلع عشرات الكلمات الإضافية التى يريد قولها .. فسرور لقاء صديق عزيز يختلف حتمًا عن سرور لقاء حبيب ..

ووصلت السيارة إلى الحفل ..

ترجلا وهما يشقان طريقهما بين عدد لا بأس به من القوم ذوى السترات المنشاة ، والمجوهرات التى ترتدى نسوة (وليس ثمة خطأ مطبعى ها هنا) . وسمعت (عبير) (كنت) يتمتم ببضع عبارات عن خجله وعدم ارتياحه لهذا الجو .. فسألته فى خبث :

- « هل ستنسحب كما أتوقع ؟ »

- « لا .. لماذا تتوقعين ذلك ؟ »

- « لأن (سوبرمان) ضيف الحفل .. ويسرنى أن أراكما فى مكان واحد .. »

هتف مغتاظًا :

- « أحقًا لن تكفى عن هذا الهراء ؟ »

- « حين تكف أنت عن إثارة شكوكى .. »

لكنه لم ينسحب .. ودخل معها قاعة الاحتفال حيث كان هناك ما يشبه المسرح ، تقف عليه فرقة موسيقية تعزف (فالس) هادئًا .. وكان القوم يرقصون هنا وهناك ..

تناول خادم زنجى معطفها وقفازيها الطويلين ، ثم راحت تشق طريقها وسط الزحام تحيى هذا وتلوح لذاك ..

الحق أنها كانت جميلة جدًا ..

إنها لا ترى نفسها من الخارج .. لكنها ترى العيون كلها ، وتدرك أن كل رجل فى المكان نسى رفيقته تمامًا .. وفى نفسها شعرت بامتنان لـ (دى - جى - ٢) الذى جعلها تجرب مشاعر الأنثى الجميلة مرارًا ، وهى مشاعر ما كانت لتعرفها أبدًا فى عالم الواقع ..

وفجأة توقفت الموسيقا .. ودنا عازف (الساكس) الزنجى من مكبّر الصوت ليقول بصوت مبحوح غليظ :

- « انتبهوا سيداتى سادتى .. »

وكانت قد عرفت من السينما أن كل عازفى (الساكس)

يحرصون على أن يعرقوا بكثرة ، ويكون لهم صوت أجش غليظ على سبيل تقليد (لويس أرمسترونج) ملك (الساكس) الأمريكى ..

قال الرجل :

- « هو ذا (سوبرمان) يلحق بحفلنا .. »

صفق الجميع .. ونظرت هى جوارها فوجدت (كنت) يصفق بدوره فى حماس ! غريب هذا ! إن حدسها الذى لا يخطئ قد أخطأ أخيرًا ..

وهبط الرجل الجبار من مكان ما فوق المنصة ، وراح يلوح بيده محييًا الجماهير ، ولم ينس أن يهزّ رأسه لها بتحية خاصة ..

ثم قال بصوته الرنان الهادئ :

- « نبدأ الآن مزادنا العلنى المخصص للأيتام .. »

ولوّح بأول نفيسة من نفائسه :

- « ها هى ذى الشمعة التى لا يمكن إطفاؤها .. جاءت من كوكب (نميسيس) حيث النار لا تنطفئ أبدًا .. هل أسمع مائة دولار ؟ »

- « مائة ! »

- « مائتان ! »

وهكذا راحت الأصوات تتلاحق محاولة الظفر بهذا التذكار النادر من (سوبرمان) .. لكن (عبير) لم تجد فائدة ما لشمعة لا تنطفئ .. إن الشمع كثير وأعواد الثقاب أكثر .. لكن ثمن الشمعة بلغ تسعمائة دولار على كل حال ، واشتراها تاجر ثرى أصلع الرأس ..

- « هو ذا كتاب بمؤثرات الرائحة .. تقرأ فقرة عن فطائر الجدّة فتشم رائحتها .. تقرأ فقرة عن الحظيرة فتشمّ روث الأبقار .. إنه كان ملكًا لساحرة من القرن السادس عشر .. هل أسمع خمسين دولارًا ؟ »

وهكذا استمر المزاد ..

★ ★ ★

والحقيقة هنا هى أن (سوبرمان) بسرعته الخارقة ، قادر بلا عناء على اجتياز حاجز الزمن .. والسفر للماضى والمستقبل ..

لهذا كان سهلاً عليه أن يحصل على هذا الكتاب من الساحرة مباشرة .. ومن المعروف أن (سوبرمان) لا يثرثر أبدًا بما رآه فى الماضى ولا المستقبل .. لأن هذا يمكن أن يبلبل حياة الناس ..

بالإضافة لهذا تعلم (سوبرمان) درسًا قاسيًا : الماضى لا يمكن تغييره أبدًا .. لا يمكن إنقاذ شىء أو إحياء من مات ..

لهذا كف عن المحاولة من زمن سحيق ..

★ ★ ★

انتهى المزاد .. فرأته (عبير) يهبط من المنصة ، ويدنو منها ..

تجمدت عاجزة عن الحركة أو التفكير ..

مدّ يده القوية نحوها .. وقال لها :

ـ « فهمت سرّ ضعف الإضاءة الكهربيةَ ها هنا .. إنهم يكتفون بك ! »

لم تردّ لأن الذعر كان هو العاطفة الوحيدة التى تحركها .. مع رغبة هائلة فى الفرار كالأرانب ..

مشت معه إلى الشرفة المظلمة .. بعيدًا عن صخب الموسيقا والقوم .. تعرفون بالطبع هذا التأثير الرومانسى الساحر حين تقف فى الظلام ، بينما حفل صاخب ملتهب بالأضواء يدور وراء ظهرك ..

قال لها وهو يرفع عباءته :

ـ « أريدك فى جولة سريعة .. لدىَّ ما أقوله لكِ .. »

ولم تفهم حتى وجدته يلفها بالعباءة الحمراء .. ويحملها بين ذراعيه ..

وفى اللحظة التالية عرفت أنها تطير .. تطير ...

★ ★ ★

الظلام والنجوم .. أضواء المدينة من عل ..

البرد ودفء العباءة ..

حلم الطيران الذى حلمت به كل فتاة .. إنه يتحقق .. هى ذى خفيفة كالطيور تلامس السحاب .. تعلو .. تعلو .. حتى ينقطع الهواء عن رئتيها .. ثم .. ثم تهبط حتى ترى السيارات فى الشوارع ..

متى طارت فى (فانتازيا) ؟

طارت على الحصان المجنح (بيجاسوس) .. وطارت فى مركبة (أبوللو) تلعب دور الشمس ..

وفى كل مرة كانت تعيش الحلم بكل تفاصيله ..

هو ذا المحيط .. الأمواج .. السفن .. الدرافيل تشق طريقها فى ضوء القمر .. ثم ..

هما الآن فى (النرويج) جالسان على الشاطئ يتمليان بحر الشمال الرهيب .. بينما شمس منتصف الليل تلَون الأفق بضوئها الأرجوانى الغامض .. نعم ..

فمع (سوبرمان) يمكنك أن ترى الكون كله فى ربع ساعة إذا أردت ..

ظلّ صامتًا بضع دقائق لا تسمع سوى صوت تنفسه ، وهدير الأمواج .. بعد قليل قال لها :

ـ « لقد أحضرتك إلى هنا لنكون بعيدين عن العالم كله .. لأننى أردت أن أقول .... »

قالت محاولة أن تخفف ارتباكه :

ـ « أعرف .. أعرف .. أنا أيضًا أشعر بالشىء ذاته .. »

ـ « إذن أنت تفهمين ؟ »

ـ « بالتأكيد .. ولكن .. لا معنى لهذا كله دون أن نتزوج .. »

نظر لها فى عدم فهم .. وقال :

ـ « زواج ؟ من تحدث عنه ؟ »

صعد الدم إلى رأسها .. وقالت محنقة :

ـ « طبعًا .. لا أخالك تحسبنا سنبقى هكذا للأبد .. »

ـ « لكن (سوبرمان) لا يتزوج .. فلو فعل لصارت زوجته فريسة سهلة لأعدائه .. ولصار الضغط عليه متاحًا لكل من يستطيع اختطاف زوجته أو أطفاله ..

إن قوة (سوبرمان) الحقيقية هى فى تفرده فى عزلته .. فى قدرته على الحياة دون أبوين ولا زوجة ولا أبناء .. مثلما كان فرسان (النينجا) قديما : قوة الفارس مرهونة بعزوبته ، فإذا تزوج خسر كل شىء .. »

نهضت محنقة حتى كادت تتعثر وتهوى فى بحر الشمال .. وصاحت :

ـ « يا سلام ! إذن لماذا جئت بى ها هنا ؟ لتبهرنى ! والإبهار دون نية الزواج يعنى نوايا شريرة .. »

إنها فتاة مصرية .. وقد علمتها حواديت ألف ليلة وليلة ، والأفلام العربية أن النهاية المثلى هى : (تزوجا وعاشا فى تبات ونبات .. وأنجبا أولادًا وبنات) ..

ولم تكن قادرة على رؤية النهايات السعيدة فى أى ضوء آخر ..

إن الرجل الذى يعلن للفتاة أنه لن يتزوجها مهما حدث ؛ لهو إنسان وقح .. وقح حتى لو كان (سوبرمان) ذاته ..

لكن (سوبرمان) قال لها دون أن ينهض من جلسته :

- « أنت لم تفهمى بعد .. لقد جئت بك إلى هنا طالبًا عونك .. »

عونها ؟ هذا غريب .. كيف تعين (سوبرمان) دون أن تزيد متاعبه ؟ وفيم يحتاج إلى العون ؟

قال لها بذات الهدوء :

- « أعرف أننى سأموت قريبًا جدًا .. وأريد منك أن تعرفى ما أنتظره منك بعد موتى ! »

★ ★ ★



لكن (سوبر مان) قال لها دون أن ينهض من جلسته :
- « أنت لم تفهمى بعد .. لقد جئت بك هنا طالبًا عونك .. » ..

٦ - خطة لا بديل لها ..

للمرة الأولى يفضى (سوبرمان) لواحد من الأرضيين بشىء رآه فى المستقبل .

كان يستعرض شاشة الراصد الذى يعكس له المعطيات القادمة ؛ حين رأى مشهدًا مريعًا : رأى نفسه ميتًا وقد اكتسى بذلك اللون الأخضر الرهيب .. لون (الكربتونيت) ..

★ ★ ★

كان كوكب (كريبتون) قبل انفجاره ذا شمس حمراء ..

ولم يكن الأمر غير معتاد بالنسبة لسكانه .. فالشمس الصفراء والحمراء والخضراء أشياء تتعود عليها بالتدريج ..

وكانت حسابات العالم العظيم (جور ـ آل) دقيقة جدًا .. وكانت نظريته محكمة : لو استطعنا إرسال

رجل من (كريبتون) إلى كوكب ذى شمس صفراء ، فإنه سيكتسب قوى خارقة : سيطير .. سيصمد جسده لطلقات الرصاص .. سيكون أسرع من الصوت والضوء .. سيرى عبر الجدران .. سيسمع دبيب النملة ..

وكان أول مخلوق من (كريبتون) يُرسل إلى كوكب شمسه صفراء هو (سوبرمان) الصغير .. والكوكب ـ طبعًا ـ هو الأرض ..

وانفجر كوكب (كريبتون) .. وتطايرت شظاياه فى أرجاء الكون .. لكن هذه الشظايا تحت الشمس الصفراء تتحول ـ هى الأخرى ـ إلى أجسام غريبة : (الكريبتونيت) ..

و (الكريبتونيت) ثلاثة أنواع كلها مشعة :

« (الكريبتونيت الأحمر) : وهو يفقد (سوبرمان) قواه .. ربما للأبد ..

« (الكريبتونيت الأخضر) : ويقتل (سوبرمان) بلا مناقشة ..

« (الكريبتونيت الذهبى) : وهو يجعل (سوبرمان) يتصرف بأسلوب شاذ ..

« لا .. لن نذكر (الكربتونيت الأبيض) فهو مختص بالحيوانات ..

وكان (سوبرمان) يعرف خطر (الكربتونيت) ..

ومن حسن حظه أن هذه الشهب كانت تزور الأرض نادرًا .. فلربما ظفر مجرم بقطعة منها .. عندها كان (سوبرمان) يقضى أيامًا سوداء حتى يتم التخلص من القطعة بإلقائها فى أعماق المحيط غالبًا ، وكان يضعها أولاً فى صندوق رصاصى .. وهو المادة الوحيدة القادرة على حجب هذا الإشعاع اللعين ..

فيما عدا (الكربتونيت) يمكن القول إن القضاء على (سوبرمان) من رابع المستحيلات ..

★ ★ ★

هكذا عرف (سوبرمان) أنه سيموت بالـ (كربتونيت) قريبًا جدًّا ..

من سيفعلها ؟ للأسف لم يكن هذا واضحًا بالنسبة لراصد الغدَ .. وما كان (سوبرمان) يحب زيارة المستقبل القريب الذى سيرى نفسه فيه .. فإن خللاً

زمنيًّا محتمًا سيحدث لو اجتمع (سوبرمانان) فى زمن واحد .. ربما يؤدى لإفناء أحدهما ..

وكالعادة فى قصص الزمن هذه .. لو مات (سوبرمان) الحالى لمات (سوبرمان) الغد .. ولو مات (سوبرمان) الغد فمعنى هذا أن (سوبرمان) الحالى لا غد له .. أى أنه لن يعيش طويلاً !

إن هذه المسائل الجدلية مربكة دائمًا .. ولربما كان من الخير عدم إطالة التفكير فيها ..

★ ★ ★

قال لها وهما فى قلعته الجليدية ، وقد أحكم لفَها بعباءته كى يقيها خطر التجمد :

- « هذا هو بيت القصيد .. أحدهم يملك كمية هائلة من (الكربتونيت) .. ولسوف يستخدمها بنجاح ضدى .. »

راحت ترمق الشاشة حيرى ..

هى تعرف أن التنبؤ كلام فارغ .. لكن هل هو كذلك فى (فانتازيا) ؟ وماذا يريد منها (سوبرمان) عمومًا ؟

قال لها (سوبرمان) :

ـ « يوجد حلٌ سهل هو أن أغادر الأرض لمدة شهور .. »

هتفت فى انتصار :

ـ « حقًا ! يمكنك أن تغادر الأرض لمدة شهور .. »

ـ « ليس حلاً .. لن أترك الأرض للأخطار .. ثم إننى لا أعرف ما إذا كانت نهايتى على الأرض أم خارجها ؟ تذكرين قصة (موعد فى سمارة) لـ (سومرست موم) .. لقد رأى التاجر الموت فى (بغداد) ينظر له بدهشة ، من ثم صمم على الفرار إلى (سمارة) .. وانطلق التاجر إلى تلك المدينة النائية لا يلوى على شىء .. وهنا يسأل أحد أهالى (بغداد) الموت عن سبب دهشته .. فيقول الموت : لقد دهشت لأنه كان من المفترض أن آخذ روح هذا التاجر فى (سمارة) هذه الليلة .. وإذا بى أفاجأ به فى (بغداد) ! »

ـ « هذا جميل .. ولكن ما الحلّ ؟ »

ـ « هذا سهل .. سأرتب موتى العلنى ! »

نظرت له فى دهشة .. ما معنى هذا ؟

قال باسمًا وهو يطفئ شاشة الراصد :

ـ « سأتظاهر بالموت أمام الناس .. وهكذا سيظهر لنا صاحب (الكريبتونيت) نفسه وقد تخلى عن حذره .. لن يطاردنى لأنه سيعتبرنى هلكت .. عندها أظهر أنا وأدمره .. »

ـ « ولكن كيف تتمكن من ..... ؟ »

وفى اللحظة التالية سمعت صخبًا عاليًا ، كأنما باب يفتح فى جدار القلعة الجليدى .. ثم رأت مخلوقًا يهبط من أعلى فى تؤدة .. كان يطير كـ (سوبرمان) لكنه كان يرتدى بزة السهرة ..

وسرعان ما تعرفته .. إنه (كلارك كنت) !

لو أن هذا الأخير يطير طبعًا ..

هتف (سوبرمان) من بين أسنانه مغتاظًا :

ـ « يا للأحمق !! »

هنا قال (كنت) وهو يقف على الأرض مع شىء من الترنح :

ـ « انتهى الحفل يا سيدى .. قمت بما أمرتنى به ! »

نهض (سوبرمان) ليدور حول (كنت) .. ثم رآته (عبير) يرفع سترته من الخلف ليدسّ يده فى ظهره ، الأمر الذى بدا لها غريبًا ..

وهنا كفّ (كنت) عن الكلام والحركة ..

ـ « ما معنى هذا ؟ »

قال (سوبرمان) فى فتور :

ـ « لا شىء .. لقد أوقفت هذا المعتوه عن العمل ! »

ـ « أوقفته ؟ تعنى أنه ..... ؟ »

ـ « آلة ! نعم .. إنه (الروبوت) رقم (ا ـ ج ـ ٩١٠) .. »

ـ « (روبوت) ؟ »

ونظرت له بحذر متسائلة :

ـ « معنى هذا أنه ؟ »

قال فى ملل :

ـ « معناه أنه كان يلعب دور (كنت) فى الحفل لأن (كنت) لم يكن هناك .. »

ـ « معنى هذا أن ......؟ »

بمزيد من الملل قال :

ـ « نعم .. معناه أننا نفس الشخص .. إن حدسك صائب .. »

ـ « وهذا (الروبوت) يقوم بدور (كنت) فى المرات التى ينبغى عليكما أن تظهرا معًا فيها .. هذا يفسر كل شىء .. لهذا كان صموتًا هادئًا هذه الليلة .. »

ـ « يجب أن يقلل كلماته حتى يقلل زلّات لسانه .. فهو ـ مهما كان متقنًا ـ لن يتصرف مثلى أبدًا .. »

ـ « تبًّا لك من ممثل بارع ! »

ـ « هأنتذى تعرفين سرّى كله .. وأنا لم أصارحك به قط ، لا لقلة ثقتى بك .. بل لثقتى فى شيطانية أعدائى .. إن كونك تعرفين السرّ يجعل حياتك فى خطر داهم .. »

ـ « فقط لو عرفوا أننى أعرف .. »

تنهّد وقال مستسلمًا :

ـ « دعينا من هذا ولنرتب خطتنا القادمة .. »

★ ★ ★

دخلت إلى بناية الـ (ديلى بلانت) مبهورة الأنفاس دامعة العينين .. فجرت إلى مكتب المدير واقتحمته ..

ـ « (سوبرمان) قد مات !! »

هرع المحررون و (كنت) من بينهم على صوت صراخها .. واحتشدوا فى الردهة .. على حين صاح المدير فرحًا :

ـ « رائع ! هل لديك ما يثبت ذلك ؟ »

ثم تذكر أنه قد بالغ فى سلوكه العملى .. بالغ إلى درجة قلة الذوق وانعدام الكياسة ، فرسم الذهول الحزين على وجهه وسألها :

ـ « كـ .. كيف عرفت بهذه الكارثة ؟ »

ناولته شريط (فيديو) صغيرًا من حقيبتها .. شريطًا من النوع الذى يتم به التسجيل فى كاميرات (الفيديو) للهواة .. وانهارت على أقرب مقعد .. وبطرف عينها رأت (كلارك كنت) / (سوبرمان) وهو يرتجف ذعرًا وتوترًا .. يا له من ممثل ! »

دسّ المدير الشريط فى جهاز (الفيديو) ، وفتح التلفزيون .. وعلى الشاشة ظهر مشهد مروّع يدور وسط الثلوج ..

وحش له هيئة تمساح ذى ستة أذرع ، يقف جوار

سفينة فضائية ، وقد راح يطلق على (سوبرمان) إشعاعات ملونة من بندقية غريبة الشكل .. وكان (سوبرمان) يحاول التملص فالهجوم .. لكن الوحش كان سريعًا أكثر من اللازم ..

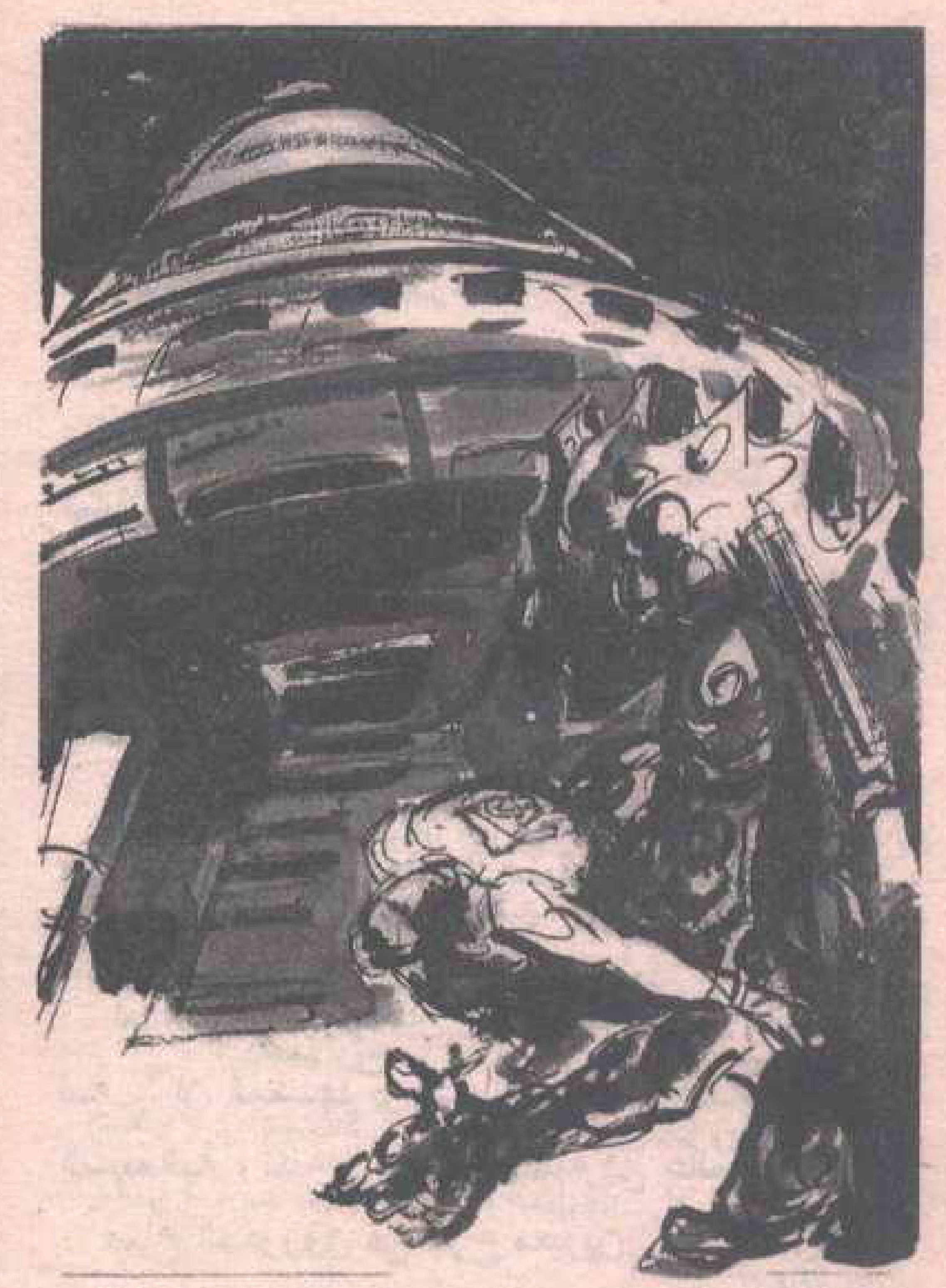
أصابت طلقة (سوبرمان) فتوهج باللون الأحمر والأخضر ثم هوى أرضًا .. على حين تصاعدت شهقات المحررين حسرة ..

وفى اللحظة التالية حمل الوحش (سوبرمان) بين ذراعين من أذرعه .. وركب سفينته .. وانطلقت المركبة بعيدًا نحو الفضاء ..

كتمت (عبير) ابتسامة خبيثة .. فهى و(سوبرمان) قاما بإخراج هذا المشهد منذ ثلاث ساعات فى (ألاسكا) ..

أما الوحش فهو إنسان آلى تم عمل بعض (المكياج) له .. إن المشهد برمته لقمّة فى عالم الخدع السينمائية ، لكنه لا يساوى بصلة فى عالم الواقع ..

صاح المحررون فى جزع معبرين عن حسرتهم ، بينما سألها المدير :



وفى اللحظة التالية حمل الوحش (سوبرمان) بين ذراعين من أذرعه ..

- « رائع ! أعنى فظيع ! كيف حصلت على هذه الصور ؟ »

- « كنت هناك مع (سوبرمان) فى (ألاسكا) .. فجأة هاجمه هذا الصياد الفضائى .. وانتهى كل شىء فى دقائق .. »

- « وكيف عدت بعدها ؟ »

يا للأسئلة السخيفة ! هذا سؤال لم تتوقعه قط .. أخيرًا قالت :

- « بالطائرة طبعًا .. لم يكن (سوبرمان) هنالك ليعيدنى .. »

مضغ المدير السيجار فى توحش .. وعاد يرمق الشاشة ثم سأل محررًا :

- « هل يمكنكم استخراج صور صالحة من هذا الشريط ؟ »

- « بالتأكيد يا سيدى .. ستكون مهزوزة نوعًا لكنها صالحة .. »

- « إذن افعلوا الآن .. أريد ملحقًا بعد ساعتين من الآن .. وإياكم والثرثرة حتى لا يفسد رجال التلفزيون سبقنا الصحفى .. »

ثم نظر إلى (عبير) متظاهرًا بالحنان .. وقال :

- « وأنت يا ملاكى .. هل تجدين فى نفسك القدرة على كتابة ما حدث ؟ »

- « سأ .. سأحاول .. إن نداء الواجب ..... »

صاح فى عصبية :

- « إذن هيا ولا تضيعى وقتنا ! »

ومضغ السيجار أكثر .. وقال وعيناه تتألقان بالحلم :

- « سنعلن للعالم نبأ وفاة (سوبرمان) ! »

★ ★ ★

٧ - عالم بلا (سوبرمان) ..

(سوبرمان) قد مات !

اهتزَّ العالم لسماع هذا النبأ ..

أما (أمريكا) فقد ذهب الحزن بصوابها .. لقد فقدت بطلها القومى الذى صار رمزًا لها مثل رموز أخرى كثيرة : (ميكى ماوس) .. (الهامبورجر) .. (البيبسى كولا) .. ولونا عباءته وثيابه هما لون العلم الأمريكى[*] ..

كان الأمريكان يشعرون دومًا أن (سوبرمان) رجلهم .. ربما يسدى العون للعالم لكنه - فى النهاية - مواطن أمريكى ؛ يغنى معهم ذات النشيد القومى أمام ذات العلم ..

(*) قد يبدو هذا مضحكًا . لكن الصين - فى عهد الثورة الثقافية - منعت دخول (دونالد داك) أو (بطوط) باعتباره عميلاً للإمبريالية الأمريكية !

وبفقده شعروا أنهم أيتام وحيدون أمام عالم قاس لا يرحم ..

★ ★ ★

كانت مواكب الحزن تملأ شوارع (نيويورك) ، بينما التلفزيون يعرض فيلم الوفاة إياه مرارًا وتكرارًا ..

وفى (واشنجتون) نُكست الأعلام ، وأعلن الرئيس الأمريكى الحداد على بطل أبطال أمريكا ..

ثم بدأت الفوضى خلال أسبوع واحد ..

★ ★ ★

فى البدء قام اللصوص بالسطو على عشرة مصارف ، ولم يستطع رجال الشرطة القبض عليهم ..

ثم هوى قطار من فوق أحد الجسور ليهلك من فيه ، وشبّ حريق مدمّر فى غابات (الويومنج) فلم يستطع أحد إطفاءه ..

★ ★ ★

قال العم (مكماهون) العجوز وهو يدسّ يديه فى جيبى سرواله (الجينز) :

ـ « أشياء كهذه لم تكن لتحدث منذ ثلاثة أعوام .. أنا رأيت (سوبرمان) فى حريق (الويومنج) السابق ..

لقد طار فوق الغابة المحترقة .. ثم عاد بعد قليل حاملاً رقعة هائلة من الجليد .. يبدو أنه اقتطعها من القطب الشمالى .. نعم ! جليد !.. ورأيناه ـ أنا و(تومى) الأحول ـ يقف فوق الغابة حاملاً قطعة الجليد الهائلة هذه .. رأيناها تذوب وينهمر ماؤها فوق الحريق الذى انطفأ خلال ثوان .. تالله ! لقد كان مشهدًا لا يراه المرء مرتين ! »

★ ★ ★

وانقلبت عربة السيرك وفرّت منها ثلاثة أسود ، وفيل .. ولم يستطع رجال الشرطة السيطرة على هذه الحيوانات .. من ثم اضطروا إلى الاستعانة بطائرة (هليوكوبتر) تقفو أثر الوحوش فى الأحراش ، ثم أطلقوا عليها الرصاص فأبادوها جميعًا ..

★ ★ ★

قال الملازم (دانييل كليفلاند) :

ـ « أنا رأيت (سوبرمان) فى موقف مماثل .. لقد نصب شركًا عملاقًا بالشباك .. ثم راح ـ بأنفاسه الجبارة ـ يطير الوحوش دون أن يؤذيها حتى استقرّت فى الشبكة ..

« عندها طار بالشبكة هائلة الحجم نحو حديقة الحيوان .. وما كان ليسمح بإيذاء حيوان واحد .. لأن (سوبرمان) قد أقسم فى بدء حياته على ألا يقتل كائنًا حيًا مهما بلغ خطره ..

« الحق أن الحياة بدون (سوبرمان) تختلف كثيرًا .. »

★ ★ ★

على أن الجميع لم يكن حزينًا ..

فقد احتفل (مجرمو القرن الثلاثين) بالذكرى رقم ١٢٠ لوفاة عدوهم اللدود .. وكانوا يعرفون أنهم سيقابلونه فى حياتهم كثيرًا ، لأنه قام برحلات عديدة إلى المستقبل حين كان حيًا ..

لكن – على الأقل – ستقل المرات التى يتدخل فيها فى أمورهم .. الحق أنها لذكرى مباركة تستحق الاحتفال ..

وفى السجون جميعًا قرع المساجين كئوس الخمور المهربة ، وهنأ بعضهم البعض على زوال ألد عدو لهم ..

وكانوا – فى هذا الوقت بالذات – قد أعدوا خططًا بارعة للهرب ؛ أدقها تلك التى رسمها سجناء (سنج سنج) الرهيب ..

إلا أن (لكس لوثر) – كما لنا أن نتوقع – لم يكن جمّ السعادة للخلاص من (سوبرمان) .. فقد كان يحيا لهدف واحد هو أن يموت (سوبرمان) بيده لا بيد (عمرو) أو (زيد) أو سواهما ..

لقد أعدّ كل شىء لصيد السمكة .. لكن السمكة ماتت قبل أن يلقى بصنارته إلى الماء ..

الحق أنها لخيبة أمل .. تبًا لـ (سوبرمان) من خائن !

★ ★ ★

– « لن أتحمل أكثر ! »

قالها (كلارك) لـ (عبير) وهو يطالع كل المصائب الخارجة من جهاز (التيكرز) .. المصائب التى بدا أنها كانت تنتظر موت (سوبرمان) لتظهر ..

– « يجب أن أظهر .. إن العالم فى ورطة بدونى ! »

قالت له وهى تفهم ما يعانيه :

ـ « صبرًا .. ستظفر بكل أعدائك مرة واحدة .. »

همس وهو يجرع القهوة :

ـ « من أدرانى أن صاحب (الكريبتونيت) سيظهر الآن ؟ »

ـ « سيفعل .. فهو لصّ بعد كل شىء .. واللص لا بد أن يسرق ما لم يكن لصًا خائبًا .. وسرقة لص كصاحب (الكريبتونيت) هذا لا بد أن تكون سرقة عملاقة تدير الرءوس .. »

ـ « أرجو ألا يكون لصًا تافهًا ممن يسرقون حقائب الأرامل .. »

ـ « لا أعتقد .. »

نظر إلى شريط (التيكرز) بشىء من الأمل .. وقال :

ـ « إن (الوطواط) يمارس عمله خارج (جوتام سيتى) .. هذا يقلل الخسائر نوعًا .. »

نعم .. ففى هذا العالم تغدو الحياة مستحيلة دون (سوبرمان) وزملائه : (الوطواط) و(فلاش) و(الرجل العنكبوت) و(الرجل الخفى) .. حتى إننى

لأتساءل : كيف نستطيع نحن الحياة فى دنيا الواقع دون هؤلاء ؟

وكل أبطال القصص المصورة هذه لهم شخصيات سرية .. وكلهم ـ ما عدا (الوطواط) ـ اكتسب قواه الخارقة إثر حادث غريب ..

وقد قام مؤلفو هذه السلاسل بجمع هؤلاء الأبطال معًا فى فريق اسمه (رابطة العدل) ، رمزًا لكل ذوى القوى الخارقة الذين يقيمون العدل بأنفسهم .. بل وتطلب منهم الشرطة ذلك ..

(الوطواط) يحاول أن يسدّ الثغرة التى تركها (سوبرمان) .. لكن هيهات .. فـ (الوطواط) ـ مهما كان ـ هو مجرّد رجل قوى ..

كانت روح (سوبرمان) تتعذّب ..

أتراه كان محقًا حين تخلى عن الأرض كى ينقذ ذاته ؟

لكن وفاته لن تفيد الأرض بدورها .. بل العكس .. ماذا عساه يفعل ؟ ينتظر !

★ ★ ★

قالت له وهما يجلسان فى الحديقة العامة وقت الغروب :

ـ « احك لى عن طفولتك .. »

كان تقاربها مع (كنت) ملحوظًا إلى حدَ كبير فى الآونة الأخيرة ، وأثار دهشة معارفهما لأنها ما كانت لتطيقه قبل ذلك .. بالطبع لم يكن أحد يعرف السبب .. السبب هو أنها تجلس الآن مع (سوبرمان) وليس (كنت) ..

قال لها وهو يتأمل الشمس الغاربة :

ـ « لا أذكر بالطبع أننى قذفت بصاروخ من (كريبتون) إلى الأرض .. كنت رضيعًا آنئذ .. سقط الصاروخ فى مزرعة بـ (فرجينيا) يملكها زوجان كهلان .. وكان أن وجدا رضيعًا جميلاً فى الحطام .. وهما لم ينجبا بعد .. إذن لماذا لا يتبنيانى ؟

« وسرعان ما أدرك الزوجان أننى أختلف عن الأطفال الآخرين .. فأنا أطير .. ولا أفنى حين تدوس الحافلة على جسدى .. ويستطيع بصرى العثور على اللعبة المختفية بسهولة مطلقة ..

« كان هذا هو ما جعلهما يقرران أن يحفظا سرِّى .. كانا قد أحبانى ولم يرغبا فى أن أنتزع منهما لمصلحة العلم .. »

« منهما تعلمت كل شىء .. تعلمت أن أخفى قواى وأن أتحين الفرصة لدرء الأخطار عن الآخرين .. وحين غدوت شابًا يافعًا خاطت لى أمى بذلتى الأولى من قماش ملوَن وجدته فى الصاروخ معى .. ووجدت فى ذات الصاروخ تفاصيل قصتى كلها .. »

« ومن يومها صرت (سوبرمان) .. أو (كلارك كنت) كما عرفت فى بلدتى .. »

سألته منبهرة بقصته التى تسمعها للمرة الأولى :

ـ « ولماذا اخترت الصحافة مهنة ؟ »

ـ « حين أزمعت بدء العمل العامَ .. فكَرت فى أن أعمل شرطيًا أو مذيعًا أو صحفيًا .. فهذه المهن الثلاث تعرف بالخطر قبل الآخرين .. وقررت أن أكون صحفيًا خجولاً ضعيفًا .. فبهذا لن يعرف أحد سرِّى أبدًا .. »

ـ « وما الذى ..... ؟ »

وتوقفت عن استكمال سؤالها لأنها فوجئت بعملاقين يحمل أحدهما مسدسًا .. وكان يصوبه نحو رأسها هى ..

وسمعت حامل المسدس يقول فى صوت خشن :

- « والآن لا داعى للتهوّر يا سيد حتى لا تفقد رفيقتك ! »

★ ★ ★

٨ - حوادث !! حوادث !!

على الفور نهض (كنت) متحفزًا ..

ومن دون جهد دخل فى دوره المألوف .. راح يرتجف .. ويصلح من وضع عويناته .. ويقول هراء كثيرًا على غرار :

- « نحن لن نشاغب يا سيّدى .. لا نريد متاعب ! »

تبادل أحد العملاقين نظرة فاهمة مع صديقه .. وقال باسمًا :

- « إنه فأر حقيقى ! الطراز الذى أفضله يا (جيم) .. »

مدّ (كنت) يده ليخرج حافظته ، وكل جسده يرتجف .. وقال ملهوفًا :

- « هى ذى حافظتى .. خذاها .. إنها مترعة بالمال .. »

هتفت (عبير) فى حنق وقد شعرت بشخصية (لورا) القوية تحركها :



وصوَّب المسدس نحو رأسها .. وتحرَّك إصبعه نحو الزناد ..
فجأة صرخ .. صرخ كمن يحترق حيًا ..

ـ « (كلارك) ! لا تعطهما شيئًا وإلا كررا ذات اللعبة مع سواك .. إن هذا (الأراجوز) لن يطلق رصاصًا .. »

نظر لها حامل المسدس مغتاظًا .. وقال من بين أسنانه المسوَّسة :

ـ « سنرى يا آنسة .. سنرى .. أكون شاكرًا لو أفرغتَ حقيبتك بدورها .. »

مدَت يدها فى حقيبتها ..

لكنها ـ حين أخرجتها ـ لم تكن تمسك بالمال .. كانت تمسك بأنبوب من (السبراى) .. وهو (سبراى) مسيل للدموع تعلمت الفتيات فى المدينة أن يحملنه معهن ..

وأحكمت التصويب وضغطت الزرّ .. لكن .....

لا شىء .. إن الأنبوب فارغ ..

هتف حامل المسدس بسبة بذيئة .. وصاح :

ـ « إذن فاللعبة هكذا .. سأريك أنا لعبتى بدورى ! »

وصوَّب المسدس نحو رأسها .. وتحرَّك إصبعه نحو الزناد ..

فجأة صرخ .. صرخ كمن يحترق حيًا ..

طار المسدس بعيدًا .. وسقط الرجل على الأرض وهو يعتصر كفه .. كفه الذى احمرَ كالطماطم وتصاعد منه دخان أبيض ..

ورأت (عبير) أن الأكثر احمرارًا كان هو المسدس .. المسدس الملقى على العشب يتوهج كقطعة فحم مشتعلة ..

قال لها (كنت) وهو يعتصر ساعدها :

- « هلمى نبتعد .. »

وابتعدا أمام اللص الآخر الذى راح يرمقهما فى غباء .. ويرمق زميله فى بلاهة .. ويرمق المسدس فى عدم فهم ..

كان مشغولاً بالذهول إلى حدَ أنه تركهما يغيبان عن عينيه .. وبعدها انحنى ليرى ما أصاب صديقه ..

★ ★ ★

سألت (سوبرمان) وهى تدير محرك سيارتها :

- « ألن نطلب الشرطة ؟ »

- « نعم .. لا نريد أسئلة مريبة .. »

عادت تسأله والسيارة تتحرك خارجة من ساحة الانتظار :

- « ماذا حدث بالضبط ؟ »

- « قمت بتسخين المسدس فى يده إلى مائتى درجة مئوية .. هل نسيت أشعة نظرى الحرارية ؟ »

- « ولماذا لم تستخدم العنف ؟ »

- « أنا لن أقتلهما .. وبالتالى سيكونان شاهدين فيما بعد على أن شخصًا له قدرات (سوبرمان) قد قبض عليهما .. لكنهما لن يعرفا أبدًا ما حدث الآن .. »

- « فكرت فى كل هذا فى الثانية التى رفع مسدسه فيها ؟ »

- « إن سرعة التفكير الخارقة هى من قوى العديدة .. »

- « إن عدد قدراتك هذه لن ينتهى أبدًا .. »

★ ★ ★

وفى الساعة الثانية عشرة ظهر اليوم التالى ، حدث شىء آخر ..

كان (كلارك كنت) فى غرفة البروفات مع أحد المحررين ، حين سمع صراخًا رهيبًا ..

خرج ركضًا من الغرفة ليجد حشدًا من المحررين ، ينظرون خارج النافذة العملاقة التى تحتل جدارًا كاملاً فى هذا الطابق ..

وسمع من يقول فى هلع :

- « إنه لا يستطيع السيطرة ! »

وآخر يقول :

- « حتمًا سيصطدم بنا ! »

وكان (كنت) قد وصل إلى النافذة ، ونظر لأعلى ..

رأى ما حسبه أولاً كتلة من اللهب معلقة فى الهواء .. ثم أدرك أنها طائرة .. طائرة محترقة تهوى من عل .. لكنها لا تكف عن الدوران والتلوى من حلاوة الروح ..

استعمل نظره التلسكوبى المقرَب .. فلم ير خلف نافذة الطائرة طيارًا .. إنها طائرة موجهة دون شكَ .. لا بد أنها خاصة بالتدريب حين اشتعلت وغدا التحكم فيها مستحيلاً ..

والجديد هنا هو أنها ستصدم مبنى الجريدة حتمًا .. هذا لا مفر منه .. فهو يستطيع حساب زوايا الانحدار والسقوط جيدًا ..

كان الجميع ينظرون إلى الطائرة .. ووجد الوقت مناسبًا كى يتصرَف ..

كوَر شفتيه .. وراح ينفخ نفخًا رفيقًا فى اتجاهها .. نفخًا يبدو رفيقًا لكنه كان كافيًا ليرفع الطائرة لأعلى .. لأعلى .. ثم يوجهها بعيدًا عن البناية ..

وتمت المعجزة بكفاءة وسرعة غير معقولتين ، حتى إن الواقفين ظنوا أن الطيار استعاد التحكم فى طائرته وذهب ليموت بعيدًا ..

وتنفس (كلارك كنت) الصعداء ..

لقد أوشك على إفساد كل شىء ..

★ ★ ★

فى المساء حدث مأزق آخر ..

لقد صارت الحوادث تجرى أكثر من اللازم فى هذه المدينة ..

كان هناك صوت طلقات ، وفرامل سيارات .. إلخ ..

وكان (كنت) عائدًا إلى داره بعد يوم شاق ، وكانت (لورا) تتأبط ذراعه وتثرثر دون انقطاع حين قاطعها بيده ..

ورأوا تلك السيارة الـ (فان) المصفحة تشق طريقها عبر الشوارع والمارة الصارخين ، بينما نصف دستة على الأقل من سيارات الشرطة المولولة تطاردها ..

وفوق السيارة - من فتحة السقف - ظهر جذع رجل يمسك بـ (مترليوز) ، ويطلق منه الرصاص بسخاء تام ..

كان مجنونًا .. هذا واضح من ضحكاته وكمية الرصاص التى يطلقها ..

انبطح (كنت) أرضًا وجذب الفتاة كى تنبطح جواره ..

وأرهف السمع كى يعرف ما يُقال فى سيارة الشرطة بالمقدمة :

- « هنا (سى - ٨) .. إن عربة المساجين تشق الشارع الخامس .. لكنهم يطلقون الرصاص بغزارة .. لا نستطيع الدنو منهم .. »

مساجين فارّون ! هذا يوضح الأمر ..

لا بد أن العربة الـ (فان) تحوى خمسة أو ستة من هؤلاء ..

وكان الموقف خطرًا .. فهم يطلقون الرصاص كأنهم فى عيد الاستقلال .. ولا بد أن يؤذوا عددًا لا بأس به من المارة ..

لم يكن هناك حلّ سوى ..

سوى حرق خزان الوقود بحرارة نظره ..

وكانت العربة المجنونة قد ابتعدت عنه بمسافة كافية ، حين دوى الانفجار وتصاعدت ألسنة اللهب ،

وتطاير المارقون لمسافة لا بأس بها .. وقد اشتعلت ثيابهم وعلت صرخاتهم ..

كان الشارع قد تحوّل إلى ميدان حرب .. وسيارة محترقة يتصاعد منها الدخان الأسود ، ولصوص يصرخون ألمًا ، ورجال شرطة يحاصرون كل هؤلاء بأسلحتهم ..

عندها فقط نهض وابتسم لـ (عبير) / (لورا) بسمة ذات معنى ..

★ ★ ★

ثم جاء دور الفتاة المنتحرة ..

كان رجال الإطفاء يديرون سلمهم العملاق ليرتفع لأعلى ببطء .. بينما أحد ملازمى الشرطة يمسك بمكبر صوت ، ويقول أشياء على غرار :

- « لا تتهورى يا (جين) .. إن الكثيرين يحبونك ! »

بينما يحاول رجال الإطفاء أن يضعوا مرتبة عند موضع سقوطها .. وهو أمر عسير إذا عرفنا أنها تقف فى الطابق العاشر من البناية ..

تقف - طبعًا - على حافة المبنى البارزة وظهرها للجدار ..

الهواء يطير أطراف ثوبها وشعرها .. ويداها مفرودتان فى محاولة منها لتقليد العناكب ، كأنما تتشبث بالجدار بممصات وهمية ..

كانت تردد بصوتها الرفيع الذى تمضغه الرياح :

ـ « ابتعدوا عنى ! لا أريد أن أسقط فوق أحدكم ! »

ـ « نريد منك أن تتعقلى يا (جين) ! »

ـ « الانتحار هو التعقل الوحيد .. »

هذا هو ما كان ينقصنا !

فتاة منتحرة تضع (سوبرمان) فى موقف عسير ـ حيث وقف وسط المارة الفضوليين ـ بين الكشف عن سره ، وبين مشاهدتها تنتحر دون أن يحرك ساكنًا ..

هذه الحمقاء .. لماذا لا تنتحر فى هدوء وتخلصنا من كل هذا ؟ مشكلة هؤلاء المنتحرين هى ولعهم بالاستعراض .. وهكذا صارت مسئولية (سوبرمان) أن ينقذها .. ولكن كيف ؟

ـ « الوداااااع ! »

كذا صاحت الفتاة وهوت من حالق ..

استغرق الأمر جزءًا من ألف من الثانية ، كى يطير

(كنت) بأسرع ما يستطيع إليها .. يحملها بين ذراعيه .. يعيدها إلى الأرض وسط رجال الشرطة .. يعود إلى موضعه وسط الزحام فى الوقت المناسب كى يطلق شهقة الرعب مع الناس ، ويغطى عينيه بكفه ..

جزء من ألف من الثانية ! لهذا لم ير أحد ما حدث .. فقط رأوا الفتاة تسقط من أعلى .. ثم اختفت فجأة ليروها واقفة وسطهم !

ـ « إنها معجزة ! »

ـ « لم يصبها خدش ! »

أما الفتاة فراحت تتأمل جسدها غير مصدقة .. إنها سالمة تمامًا ..

هل هذا حلم ؟ ربما هى تعيش الآن ما بعد الموت ؟

وحين رأت رجال الشرطة صاحت فى هستيريا :

ـ « ماذا فعلتم ؟ لماذا لم أمت ؟ »

لم يدروا ما يقولون ..

كان التفسير الوحيد هو أن معجزة ما قد حدثت ..

وقالت الفتاة إنها شعرت بيدين قويتين تحيطان بها ، لكنها لم تستطع قط رؤية ما حدث ..

ووسط الزحام انصرف (كلارك كنت) وهو يدارى ابتسامته ..

لقد أحسن التصرف ..

لكن الحظ لن يكون حليفه فى كل مرة ..

★ ★ ★

وفى مقره المبطن بالرصاص استدعى (لكس لوثر) العالم الشرير مساعدته الحسناء (هارلوت) ..

دخلت عليه فوجدته جالسًا أمام شاشة التلفزيون يتأملها فى شرود .. فما إن رآها حتى مسح على صلعته وقال :

ـ « تعالى يا (هارلوت) .. »

سألته وهى تتخذ مقعدًا جواره ، وتتأمل الشاشة :

ـ « هل ثمة مصيبة ما ؟ »

ـ « إننى أشم فأرًا ! »

★ ★ ★

٩ـ رائحة فأر ..

ـ « كيف تشم فأرًا .. إننى أرتدى فراء (المنك) حقًا لكنى متضمخة بأحدث عطر باريسى سرقته لى .. »

قال لها فى ضيق :

ـ « يا ملاكى أنا لا أتحدث عن الفئران .. بل أستخدم تعبيرًا إنجليزيًا شائعًا كناية عن الارتياب .. بعبارة أخرى : أنا مرتاب .. »

ـ « مرتاب لماذا ؟ »

أراح ساقيه على مقعد أمامه .. وراح يدير كأس الشراب بين راحتيه ، وهو يتأمل معمله الذى أفعمه لون أحمر شيطانى يريحه نفسيًا ..

وقال لها :

ـ « مجرمو (منطقة الأشباح) .. لقد اتصلت بهم .. وهم يؤكدون أن صاروخًا لم يدخل مجال الأرض منذ شهر .. أى أن أحدًا لم يأت للأرض كى يقتل (سوبرمان) كما يزعمون .. »

هتفت غير مصدقة :

ـ « أحقًا ؟ وما معنى ذلك ؟ »

ـ « لا أدرى .. »

ثم عاد يتأمل الشاشة التى ثبّت عليها إطارًا ثابتًا يعرض سقوط (سوبرمان) بإشعاعات الصياد الفضائى .. وقال :

ـ « كان لا بد من أن أتأكد أولاً من أن (سوبرمان) غير موجود .. كى أنفذ مخططى .. لهذا قمت بإرسال بعض الطعوم فى أرجاء العالم ، وهذه المدينة بشكل خاص .. كنت أراهن على أن (سوبرمان) ـ لو كان متواريًا لغرض فى نفسه ـ لن يتحمل درجة معينة من الاستفزاز .. »

وجرع جرعة من الشراب .. وأردف :

ـ « الوغدان (جيم) و (كالاهان) عادا لممارسة السطو المسلح .. لقد هددا رجلاً وامرأة فى الحديقة العامة .. ويقسم (كالاهان) على أن المسدس تحوّل إلى قطعة من الفحم المشتعل فى يده .. إن هذه الأشياء لا تحدث لمجرّد أن (كالاهان) يستحق ذلك .. لا بد من تفسير مادى واضح .. »

وبعد برهة صمت أردف :

ـ « تذكرين أننى طلبت منك أن توجهى طائرة التجارب (س ـ ٢٣) .. وأشعلنا فيها النار ثم جعلناها تندفع نحو بناية (ديلى بلانت) حيث أكثر أصدقاء (سوبرمان) .. حسن .. لقد غيّرت الطائرة اتجاهها دون تفسير .. ومن جديد أقول إن الطائرات المحترقة لا تغير اتجاهها دون سبب ، ولمجرّد أن احتراقها شنيع .. »

ـ « هذا منطقى .. »

ـ « بعد هذا جاء حادث المساجين الهاربين .. لقد انفجرت سيارتهم .. والسيارات لا تنفجر هكذا .. لم يكن لى دور فى هذا الحادث ، لكنه أفادنى إلى حدّ كبير .. »

ـ « ثم جاء دور (جين) .. »

ـ « نعم .. إن (جين) هدّدت بالانتحار حسب أوامرى .. لكنها كانت تلف حول خصرها المادة (ب ـ ع) المضادة للجاذبية .. فلم تكن السقطة لتؤذيها .. لكنها وثبت فلم تسقط .. ولا تفسير لديها لذلك .. »

ثم أشار إلى الشاشة التى ظهر عليها الكادر المتجمد .. وقال :

ـ « وهذا الفيلم .. إنه أكثر وضوحًا من اللازم .. تصورى أنك مع (سوبرمان) تتحدثان ، وفجأة هبط صاروخ خرج منه وحش مريع كهذا ليقتل (سوبرمان) .. كيف تجدين ثبات الأعصاب وهدوءها كى تلتقطى هذا الفيلم الواضح الثابت الذى يراعى توزيع الضوء وكل شىء ؟ إن أفلام شهود الحوادث تكون دائمًا مهزوزة لا تثبت فيها الصورة على أية تفاصيل ، ويستحيل فهم ما يحدث إلا باستعراض الكادرات الثابتة .. أكاد أقسم إن هذه الكاميرا كانت موضوعة على حامل ثلاثى .. ثم .. هل تساءل أحد هؤلاء الحمقى عن كيفية رجوع فتاة وحيدة من الصحارى الجليدية فى (ألاسكا) ؟ »

اتسعت عيناها اهتمامًا .. وسألته :

ـ « أنت عبقرى حقًا .. لكن لماذا يفعل (سوبرمان) هذا ؟ »

ـ « ليخدعنا طبعًا .. يريدنا أن نطمئن إلى غيابه لنتحرك .. »

ثم ضغط على زر (الكمبيوتر) ليعرض ملفًا ما على الفتاة ..

وعلى الشاشة ظهرت وجوه ما لا يقل عن ستين من محررى جريدة (ديلى بلانت) كلهم يضعون العوينات .. وقال وهو يحرك (الفأرة) على الشاشة :

ـ « قال (كالاهان) الأحمق إن الرجل الذى هاجماه فى الحديقة كان يضع العوينات .. والمرأة التى كانت معه محرَّرة معروفة فى (ديلى بلانت) .. أى أننا ـ غالبًا ـ نبحث عن محرر ذى عوينات .. »

سألته المساعدة فى عدم فهم :

ـ « إذن لماذا لا تعرض هذه الصور على (كالاهان) ؟ »

ـ « إن الغبى ـ وزميله ـ عديما الملاحظة .. وقد اختارا ثلاثين وجهًا مؤكدين فى كل مرة أن صاحب هذا الوجه هو رجلهما .. إننى لا أثق البتة بهؤلاء المجرمين معدومى الثقافة .. »

ثم ضغط زرًا فظهرت مجموعة أخرى من الوجوه الصارخة ، تنظر إلى اتجاهنا .. كأنما يقفون فى نافذة عملاقة ..

قال (لوثر) :

ـ « هذه هى الصورة التى التقطتها الطائرة المحترقة بالكاميرا المثبتة فى مقدمتها .. وتظهر شهود الحادث إذ وقفوا فى نافذة البناية .. »

ثم ضغط زرًا ثالثًا .. فظهرت صورة أخرى بها وجوه تنظر إلى أعلى ..

وقال :

ـ « هذه هى وجوه المحتشدين فى الشارع عندما هددت (جين) بالانتحار .. وقد التقطتها (جين) بالكاميرا المثبتة فى طرف حذائها .. »

ثم ضغط زرًا رابعًا .. فعادت صورة وجوه محررى (ديلى بلانت) .. وفى هذه المرة كان هناك مستطيل يحيط بأحد الوجوه ..

قال لها :

ـ « لقد أجرى (الكمبيوتر) عملية طرح .. فوجد أن هذا الوجه هو العامل المشترك فى كل الصور .. هذا الرجل كان هناك دائمًا .. ومقاييس وجهه ملائمة تمامًا لمقاييس وجه (سوبرمان) .. »

وضاقت عيناه الخبيثتان .. وأردف :

ـ « صحفى يدعى (كلارك كنت) .. وديع مسالم .. وهو ما أتوقعه .. فـ (سوبرمان) سيختار أضعف شخصية ممكنة بالتأكيد .. »

ـ « أنت عبقرى .. حقًا عبقرى ! »

فى تواضع هزّ رأسه :

ـ « إن الصّلع دائمًا هكذا .. »

ـ « لقد حدّدت شخصية (سوبرمان) السرية .. وعرفت أنه حىّ يرزق .. كل هذا وأنت جالس ها هنا .. »

ـ « والأهم .. عرفت كيف أقضى عليه .. »

ثم أغلق جهاز الكمبيوتر وعاد يسترخى فى مقعده ، وقال :

ـ « إن خطتنا ستمضى كما هى .. أريد أن تستدعى مجموعة (ألفا) فلدىّ مهمة عاجلة لهم .. »

وابتسم ابتسامة ذئب لو أن الذئاب تبتسم ..

★ ★ ★

١٠ـ الضباب الأحمر ..

كانوا جالسين فى جريدة الـ (ديلى بلانت) يعدّون لإصدار الغد ..

العناوين الرئيسية تتحدث عن الكوارث العديدة التى تحاصر المدينة .. بعضها حدث نتيجة لقانون الكوارث الطبيعية ، وبعضها حدث نتيجة كمائن (لكس لوثر) .. لكن أحدًا لم يعرف هذا طبعًا ..

وكان (كلارك كنت) ينظف زجاج عويناته ، و(لورا) / (عبير) تراجع مقالاً كتبته لكنه لم يلحق بدوره فى النشر ..

هنا بدأ الضباب ..

★ ★ ★

لاحظه المدير أولاً فى غرفته ذات النافذة المفتوحة ، ثم لاحظه آخرون .. وأدركوا ـ فى حيرة ـ أن هناك ضبابًا أحمر يتزايد بشكل غير معهود ..

خرج المدير من مكتبه ليلوم المخطئ .. نعم ..

فلا بد أن أحدًا ما قد أخطأ وترك شيئًا ما يحترق أو يعمل أكثر من اللازم ..

لكنه وجد الضباب الأحمر يملأ الردهة .. ضبابًا بلا رائحة .. ورأى أشباح المحررين يركضون هنا وهناك وقد استبد بهم الهلع ..

تعثر فى مقعد تركه أحدهم هناك .. فسقط وهو يطلق اللعنات .. الواقع أن الأمر كان يزداد سوءًا من آن لآخر ..

وبدأ الضباب يستحيل إلى حائط .. حائط سميك متماسك ..

صاح مخاطبًا لا أحد :

ـ « ألن تكفوا عن هذا الـ ..... ؟ »

★ ★ ★

أما (كنت) فقد شعر بالخطر قبل سواه ..

كان الضباب الأحمر يتسرّب إلى الغرفة .. وأحست (عبير) بشىء من قلق يتسرّب إلى روحها ..

تساءل أحد المحررين :

ـ « ما هذا الذى يحدث ؟ »

قالت وهى ترمق وجه (كنت) الشاحب :

- « ربما هى حملة لإبادة الذئاب ؟! »

- « (د. د. ت) أحمر وبلا رائحة ؟ »

هنا قرّب (سوبرمان) فمه من أذنها وقال هامسًا :

- « هذا ليس (د. د. ت) .. إنه (كريبتونيت) أحمر .. شخص ما يعفِّر المبنى بالـ (كريبتونيت) الأحمر ! »

اتسعت عيناها هلعًا .. وهمست بدورها :

- « اللعنة ! لكن من ؟ »

- « شخص يعرف أننى حىّ وموجود هنا .. »

ثم بدأت شفته السفلى ترتجف دون انقطاع ..

وفجأة أطلق شهقة عالية ونهض مترنحًا ..

كانت الرؤية أكثر عسرًا مما جعل أحدًا لا يلاحظ نهوضه .. بل بدأ البعض يفتح النوافذ ليرى مصدر هذا الضباب ..

قال لها وهو يجذبها من معصمها :

- « تعالى معى ! »

ومشت وراءه إلى الردهة .. ثم إلى حجرتهما المشتركة .. كان الشحوب قد صار هو القاعدة ، وكان العرق ينهمر من جبينه ، والرجفة لا تفارق يديه .. أما عويناته فانزلقت تمامًا عن أنفه ..

قال لها وهو يعالج ربطة عنقه :

- « إننى سأفقد قـ .. قواى حالاً أو أمـ .. أموت .. ساعدينى على نزع ثيـ .. ثيابى .. »

مدّت يدها تفك أول زرّ فى قميصه .. كان يرتدى بذلة (سوبرمان) كاملة تحت ثيابه .. وسرعان ما تحوّل بمعاونتها إلى (سوبرمان) ..

قال لها وهو يستند إلى الجدار :

- « لـ .. لو حدث شىء .. لـ .. لا أريد أن يرونى فى ثياب (كلارك كنت) .. إن .. إن أحدًا لن ...... »

كان الضباب يزداد كثافة ..

★ ★ ★

- « والآن .. سـ .. سأحاول الهـ .. الهرب .. »

وقبل أن يضيف شيئًا رأته يركض مترنحًا نحو الباب ..

وهرعت إلى النافذة لترى ما يحدث ..

بين أبخرة الضباب الحمراء أمكنها أن تميّز الناس واقفين .. كلهم ينظر لأعلى فى حيرة .. إذن فالضباب الأحمر مقصور على بناية (ديلى بلانت) وحدها .. ولكن كيف ؟



مدّت يدها تفك أول زرّ فى قميصه .. كان يرتدى بذلة (سوبر مان) كاملة تحت ثيابه ..

سمعت ضوضاء بالخارج .. فجرت إلى الباب ..

كان هناك رجال ملثمون يملئون الردهة .. يرتدون زيًّا موحدًا من المطاط الأزرق .. وكل منهم يحمل على ظهره جهازًا ضخمًا يخرج منه خرطوم .. ذكّرها بصورة الجنود الذين يحملون قاذفات اللهب .. لكن ما يخرج من الخراطيم لم يكن لهبًا بل هو ضباب أحمر ..

دنا منها أحد الرجال .. فأشار لها بحزم كى تعود للغرفة .. وقال بغلظة :

ـ « عودى للداخل يا آنسة .. فلست من نريد .. »

لحظة لكنها كانت كافيةً كى ترى على صدر بزته رمز (ألفا) اللاتينى .. ثم حرفى (L.L) .. بعدها عادت إلى الداخل ..

إذن هم تنظيم ما .. تنظيم قوى قادر على احتلال جريدة ..

ثم ما معنى (L.L) هذه ؟

هنا أدركت الجواب دون جهد .. (L.L) هو اختصار اسم (لكس لوثر) .. فهؤلاء القوم يعملون معه إذن ..

(لوثر) العالم الشرير عدو (سوبرمان) اللدود خارق الذكاء .. هو الوحيد القادر على صنع أجهزة تبخير (كربتونيت) ..

لكن ما مصير (سوبرمان) وسط كل هذا ؟

★ ★ ★

بغريزتها هرعت إلى سطح البناية ..

خمنت أن (سوبرمان) سيكون هناك .. كل الهاربين يتجهون للسطح .. ولا تفسير لذلك ..

وحين وصلت إلى هناك كان المكان خاليًا إلا من طائرة هليوكوبتر عملاقة ، ليست هى طائرة (ديلى بلانت) طبعًا .. وكانت مروحتها الرأسية تدور متأهبة للإقلاع ..

ثم رأت (سوبرمان) يركض فى الركن القصىَ .. ووثب ليعتلى السور الحجرى ، ويتأهب للتحليق ..

هنا برز ثلاثة من هؤلاء الرجال المطاطيين يحملون قاذفات ضبابهم ..

وصرخ أحدهم وهو يرفع ذراعه محذرًا :

ـ « لا تحاول يا (سوبرمان) ! لقد فقدت قواك .. نحن نريدك حيًا يا أحمق ! توقف ! »

والواقع إن (سوبرمان) نفسه أحس بأن شيئًا لم يعد على ما يُرام .. وقف على الحافة مترددًا .. هل يثب أم لا ..

ورأت أحد الرجال يهرع للمكان حاملاً كاميرا (فيديو) يلتقط بها صور ما يحدث .. لم يكن يريد أن يفوته شيء ..

فكر (سوبرمان) قليلاً حيث وقف ..

ثم ارتفعت ساقه فى ركلة عاتية لوجه أقرب الرجال إليه ، ووثب إلى داخل السطح ثانية ليلطم واحدًا آخر فى معدته ، ثم يركل الثالث فى خصره .. وراح يركض مبتعدًا ..

لكن حامل الكاميرا ظلَ يركض وراءه دون أن يفوت لحظة واحدة ..

وبرز رجلان آخران لـ (سوبرمان) فتعلق فى قطعة خشب بارزة ، وبتلك الحركة البهلوانية التقليدية رفع قدميه ليركلهما معًا .. ثم وثب فوق جسديهما قاصدًا السلم الموجود على جانب البناية ..

هنا ظهر رجل جديد .. وفى هذه المرة هوى على

رأس (سوبرمان) بأداة حديدية تشبه (العتلة) ، فصرخ هذا الأخير ثم سقط أرضًا دون مزيد من المقاومة ..

وارتجفت (عبير) وادمعت عيناها ..

لقد كان هذا هو أول قتال يخوضه (سوبرمان) كرجل عادى .. وقد أبلى فيه بلاء حسنًا .. لكن مباريات الكرة تقيَم بأهدافها لا بما بذله اللاعبون من جهد ..

وكضباع ظفرت بفريستها ، احتشد الرجال حول فريستهم ، ورأتهم (عبير) يحملون (سوبرمان) حملاً إلى طائرتهم ..

ـ « أيها الأنذال ! »

صرخت وهى تجرى نحو الطائرة لكن صرختها ضاعت وسط هدير المحركات .. ولو تمكنت من اللحاق بهم لمزقتهم ـ العشرين رجلاً ـ بيديها ، ولهشمت طائرتهم .. إنها الآن تشعر بأنها قادرة على ذلك .. لن تجد عسرًا فى هذا ..

ـ « أيها الفئران ! »

دوّت صرختها بينما الطائرة ترتفع ببطء مسلطة كشافاتها الباهرة على كل شىء .. ثم دارت مائة وثمانين درجة وابتعدت ..

★ ★ ★

كانت (عبير) جاثية على ركبتيها تنشج ..

لا بد أن ساعة كاملة قد انقضت منذ ارتفعت الطائرة ..

وبدأ الضباب الأحمر ينقشع ..

★ ★ ★

١١ - الإعـــدام ..

وفى معمله المبطن بالرصاص ، دخلت (هارلوت) - مشرقة الوجه - لتلقى (لكس لوثر) الذى كان يتابع الأحداث على الشاشات العديدة أمامه .. وقالت فى انتصار :

- « هو هنا .. »

- « هل أفاق ؟ »

- « ليس بعد .. إنه لم يعتد أن يُضرب قط لهذا يتأثر أكثر .. »

- « إذن أعدّوا كل شىء الآن .. »

كانت نشوة النصر تتدفق فى دمه حارة .. لكنه حرص على أن يحتفظ بوقاره .. لقد قدّم له (سوبرمان) الفرصة الكاملة لاصطياده ، ولو لم يحدث ذلك لكان عليه أن يدبّر له كمينًا فى مكان مغلق ..

لكن (سوبرمان) لا يقع فى الكمائن أبدًا .. إن حاسة الشك لديه مرهفة ككل حواسه الأخرى ..

لكن كل العناء قد انتهى الآن .. ولم يبق سوى جمع العسل ..

★ ★ ★

أما رجال الشرطة فقد غمرتهم الحيرة ..

ثمة أشخاص - لا يعرف سوى الله - من هم اقتحموا الجريدة لدقائق ورشّوها ببخار أحمر .. بخار لا يبدو أنه سامّ لأى بشرى .. وتقول تلك المحرّرة إنهم اختطفوا (سوبرمان) ..

كيف يختطفونه وقد مات منذ فترة لا بأس بها ؟

ما معنى هذا الذى حدث ؟

★ ★ ★

وبعد دقائق بدأ البث الإعلامى ..

برز جهاز عملاق يشبه (الرادار) من وكر (لوثر) .. وانطلقت منه موجات كهرومغناطيسية تعبر الأثير ..

ومن فضل القول أن نقول إنها كانت أقوى من أى إرسال مرئى أو مسموع ، تبثه أية محطة فى الولايات المتحدة ..

وعلى شاشات التلفزيون فى أنحاء البلاد ، ظهرت العبارة التالية :

- « (لكس لوثر) الحاكم العام يتحدَّث إلى الأمة بعد قليل ! »

لم يكن هناك حاكم عام بهذا الاسم ..

فقط يوجد لصٌ شهير ..

وراح الناس يرمقون شاشات التلفزيون فى قلق ، وقد تقلصت أحشاؤهم توترًا .. شاعرين أن اللحظات القادمة ستغير مصائرهم لسنين طويلة ..

وهنا برز وجه (لوثر) الأصلع القبيح على الشاشات ..

قال فى تؤدة وعيناه تلتمعان جشعًا :

- « أيها الشعب الأمريكى العظيم .. (لكس لوثر) يتحدَّث إليكم .. إن هذه الأمة تعيش الآن لحظات من المجد غير مسبوقة ..

« لقد تمكنت من أسر (سوبرمان) .. وهو الآن سجين لدىَّ ينتظر جزاءه المحتوم .. لم يعد هناك من يقدر - أو يجرؤ - على معارضة مشيئتى ..

« إننى أعلن - من اليوم - انتهاء صلاحيات رئيس البلاد ، وتعيين نفسى حاكمًا عامًّا عسكريًّا .. وهى خطوة أولى قبل أن أغدو زعيم العالم كله .. لا بأس من

الاعتراض فأنا بطبعى ديموقراطى .. لكن كل شىء سيتم كما أريد له بالضبط ! »

تعالت صرخات القوم .. وأغمى على بعض النساء .. على حين واصل (لوثر) كلامه المسموم :

- « .. إننى سأعدم (سوبرمان) بعد ساعتين من الآن .. والسبب هو إعطاء الفرصة لجميع الناس كى يشاهدوا هذا فى ديارهم ، وأمام شاشات التلفزيون .. لا تنسوا (الفيشار) و (الكولا) طبعًا ..

« بعد هذا أطلب إخلاء البيت الأبيض خلال أربع وعشرين ساعة .. لأننى سأتسلم كل شىء فى هذا الوقت ..

« إنها عملية ابتزاز عادية جدًّا .. إما أن تقبلوا أو ..... أو ماذا ؟ تابعوا الإرسال يا سادة فلسوف تعلمون وسيلة الضغط الفعالة التى ابتكرها لكم العبقرى (لكس لوثر) خصيصًا .. »

واختفت صورته ثم عاد الإرسال العادى !

* * *

حدثت - كما نتوقع - ضجة غير مسبوقة بعد هذا الحديث القصير ..

(لكس لوثر) يهدّد .. ولكن ما أداة تهديده ؟

(سوبرمان) حيّ .. لكنه - وهذا غريب - على وشك الموت .. ما معنى هذا الخلط ؟

بعد دقائق انقطع الإرسال من جديد ..

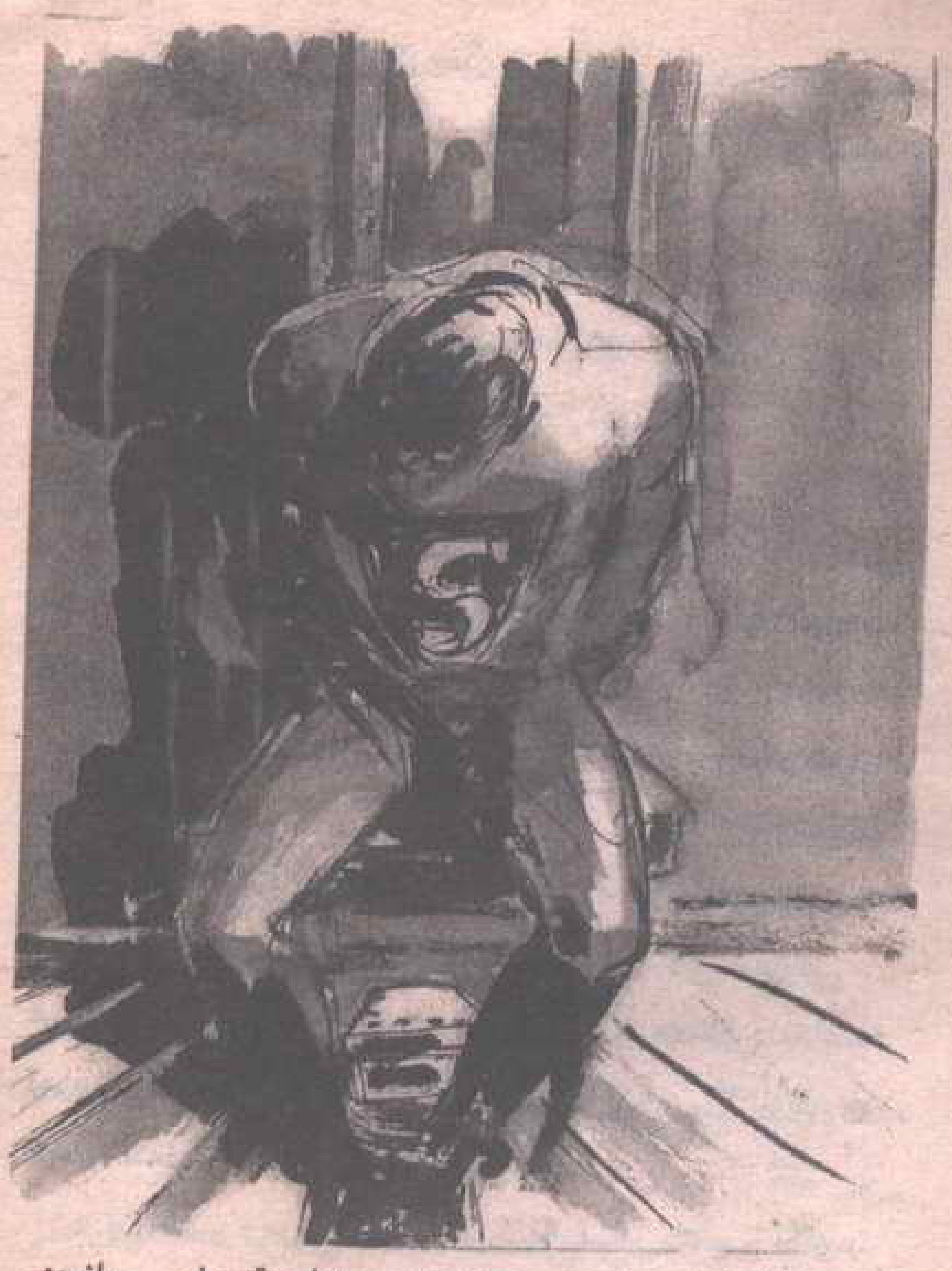
وهذه المرة لم يظهر (لوثر) على الشاشات ؛ بل ظهر (سوبرمان) ..

كان الصراع واضحًا على وجهه .. بالواقع لم يره أحد من قبل فى هذه الحالة المشينة من (البهدلة) والاستسلام ..

كان جالسًا على مقعد ، وقد قيدت يداه وقدماه .. وانحنى رأسه فى استسلام الخراف المقبلة على الذبح .. صورة تدمى القلوب أبدًا .. وعند قدميه كان صندوق معدنى كبير ..

وعاد صوت (لوثر) يقول :

- « هو ذا بطل الأمة .. بانتظار أن نفتح هذا الصندوق الرصاصى .. والصندوق يحوى قطعة كبيرة من (الكريبتونيت) الأخضر .. المادة الوحيدة التى يمكنها إبادة (سوبرمان) .. سنفتح الصندوق فى الموعد يا سادة .. ولسوف نلتذ جميعًا بمشاهدة الإعدام .. »



كان جالسًا على مقعد ، وقد قيدت يداه وقدماه .. وانحنى رأسه فى استسلام الخراف المقبلة على الذبح ..

ومن جديد انقطع الإرسال ..

ـ « لاااه ! »

صرخت (عبير) وهى ترمق الشاشة ..

لم تتصوَر أن الأمور بهذا السوء ..

عليها أن تفعل شيئًا .. لكن ما هو ؟

لا شيء سوى الانتظار ..

★ ★ ★

وبعد دقائق رهيبة ظهر وجه (لوثر) القبيح على الشاشة .. لكنه فى هذه المرة كان يحمل أنبوب اختبار صغيرًا ..

قال وهو يستمتع بفكرة الملايين الذين يكرهونه الآن :

ـ « هذا هو تهديدى يا سادة .. الفيروس (١١٤ ـ س ـ ٢٨) الذى قمت بتطويره فى معاملى .. فيروس .. أى أن المضادات الحيوية عاجزة أمامه تمامًا .. لكن مهلاً .. أنا لن أنشر أوبئة .. لا أريد أن أصير حاكمًا لأمة من المرضى ..

« إن الفيروس الذى ابتكرته قادر على تفتيت المعادن .. تفتيت كل مادة غير عضوية .. بمعنى آخر :

لن تكون هناك مبان ولا سيارات ولا طائرات فى مجتمعنا .. لا مدنية ..

« أى أننا سنعود بفضله إلى العصر الحجرى دون إبطاء ..

« ولإثبات كلامى .. اخترت أن أريكم نموذجًا مصغرًا .. أنتم طبعًا تعرفون برج (إيفيل) .. أرجو أن توجهوا عدساتكم إليه خلال ثلاث ساعات من الآن .. إن المشهد يستحق الرؤية ! »

كان الجنون قد بلغ مبلغه وسط القوم ..

وظهر الرئيس فى نشرة الأخبار يقول فى صرامة :

ـ « لا مساومة .. نحن لن نقبل الابتزاز .. »

وظهر سيناتور ما يقول :

ـ « لن نضحى بكل ما فعلناه من أجل معتوه .. »

وظهر عالم ما يقول فى ثقة :

ـ « هذا الفيروس لم ولن يوجد .. »

ثم انقطع الإرسال من جديد وظهر (لوثر) يبتسم فى ثقة ..

قال أحد المحرَرين محنقًا وهو يرمق المشهد على شاشة التلفزيون فى مبنى (ديلى بلانت) :

- « إن هذا الوغد يهوى الاستعراض حقًا .. »
كان المشهد على الشاشة يظهر (سوبرمان) المقيد إلى مقعده عاجزًا .. وأدرك الناس أن ميعاد الإعدام قد جاء ..

★ ★ ★

وانفتح الصندوق .. ورأى الجميع ضوءًا أخضر يخرج منه ..

انعكس الإشعاع على وجه (سوبرمان) .. راح يتلوى ويحاول التملص أمام عيون الناس المفتوحة .. وأناملهم فى أفواههم يعضون عليها جزعًا .. ويئنون ..

هو الآخر كان يئن .. يتلوىَ ..

ولدهشتهم أدركوا أن لونه يستحيل أخضر ..

طال المشهد المروع ثلاث دقائق .. بعدها أطلق تنهيدة طويلةً وهتف كأنما يعذب فى جهنم :

- « ملعون أنت يا (لكس لوثر) ! أتمنى أن أعود شبحًا كى أحيل حياتك إلى جحيييييم ! »

وخمدت حركته نهائيًا .....

★ ★ ★

وفى أرجاء العالم ساد الصمت الواجم ..

أيقن الجميع أن هذا ليس حلمًا .. إنه حقيقة .. كتلة اللحم خضراء اللون قد فرغت منها الحياة ..

لقد أتمّ (لوثر) انتقامه ..

★ ★ ★

ثم ظهر وجه (لوثر) على شاشات التلفزيون :

- « سنقوم بتعليق جثة (سوبرمان) فى (سنترال بارك) كى يرى الناس أننا لا نمزح ..

« هأنتم أولاء رأيتم جزاء من يقف فى طريقى .. ودعونى أؤكّد لكم أن الضحية القادمة لن تكلفنى كل هذا العناء ..

« والآن ننتقل إلى برج (إيفل) .. »

★ ★ ★

وعلى الشاشةَ ظهر المشهد المهيب لـ (برج إيفل) ..

البرج الذى بناه (جوستاف إيفل) المهندس الفرنسى .. والذى صار رمزًا لـ (فرنسا) مثله مثل قوس النصر ..

وحبس الناس أنفاسهم .....

مرّت دقائق ثم رأوا كأن الصورة تهتز .. تهتزّ باستمرار ..

عندها عرفوا أن البرج يتحوّل إلى ذرات رماد ..

وسرعان ما بدأ يذوب ..

يتحوّل إلى جبل من الرماد تذروه الريح ..

وانطلقت الشهقات ..

وراح البعض يؤكّد أن هذه حيلة تلفزيونية ما ، لكن شيئًا فى الأعماق كان يقول : هذه حقيقة ..

ثم جاءت الأنباء المحايدة تؤكّد أن هذا حدث فعلاً ..

لقد تلاشى برج (إيفل) فى ثوان ..

ومن جديد ظهر وجه (لوثر) الدميم يقول :

ـ « لقد رأيتم كل شىء يا سادة .. إننى أعتذر لحكومة (فرنسا) على ما أصاب أثرهم العظيم .. لكنى كنت بحاجة إلى الإقناع .. وأصارحكم القول إن قلبى لم يطاوعنى كى أضرب مثلاً (الهرم الأكبر) أو برج (بيزا) المائل أو (تمثال الحرية) ..

« لقد كنت أمقت اللغة الفرنسية منذ تعلمتها فى المدرسة حتى اليوم .. وهذا هو انتقامى الذى أجده عادلاً ..

« والآن أنا أنتظر إخلاء العاصمة ، وتسليمى (البيت الأبيض) فى الموعد المقرّر .. »

وكشّر عن أنيابه .. وأردف :

ـ « لن تكون هناك أمثلة أخرى ! »

★ ★ ★

إن القصة لم تنته بعد ..

لا بد من إجابات على الأسئلة التالية :

١ ـ هل حقًا مات (سوبرمان) ؟

٢ ـ هل تستسلم البلاد لهذا الطاغية المجنون ؟

٣ ـ ما هو دور (عبير) فى لعبة تفوق قدراتها بالتأكيد ؟

٤ ـ هل ينتشر الفيروس حقًا ؟

٥ ـ متى ينتهى كل هذا السخف ؟

لا تغادروا مقاعدكم .. فالجزء الثانى من القصة آت لا محالة ، وفيه سنواجه كابوسًا مريعًا اسمه : ما بعد (سوبرمان) ..

★ ★ ★

(تمت بحمد اللّه)

فانتازيا

مغامرات ممتعة
من أرض الخيال

روايات
مصرية للجيب

رجل من كريبتون



د. أحمد خالد توفيق

هل هو طائر أم طائرة ؟ لا .. إنه (سوبر مان) .. الرجل الخارق الذى صار بطلاً قوميًا أمريكيًا ، والذى جاء من (كريبتون) ليلقى ذات متاعبنا . اليوم نكون ضيوف (سوبر مان) فى (فانتازيا) .. ونعرف عنه ماهو أكثر ...

الثمن فى مصر ١٥٠ مـ
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠٠٢